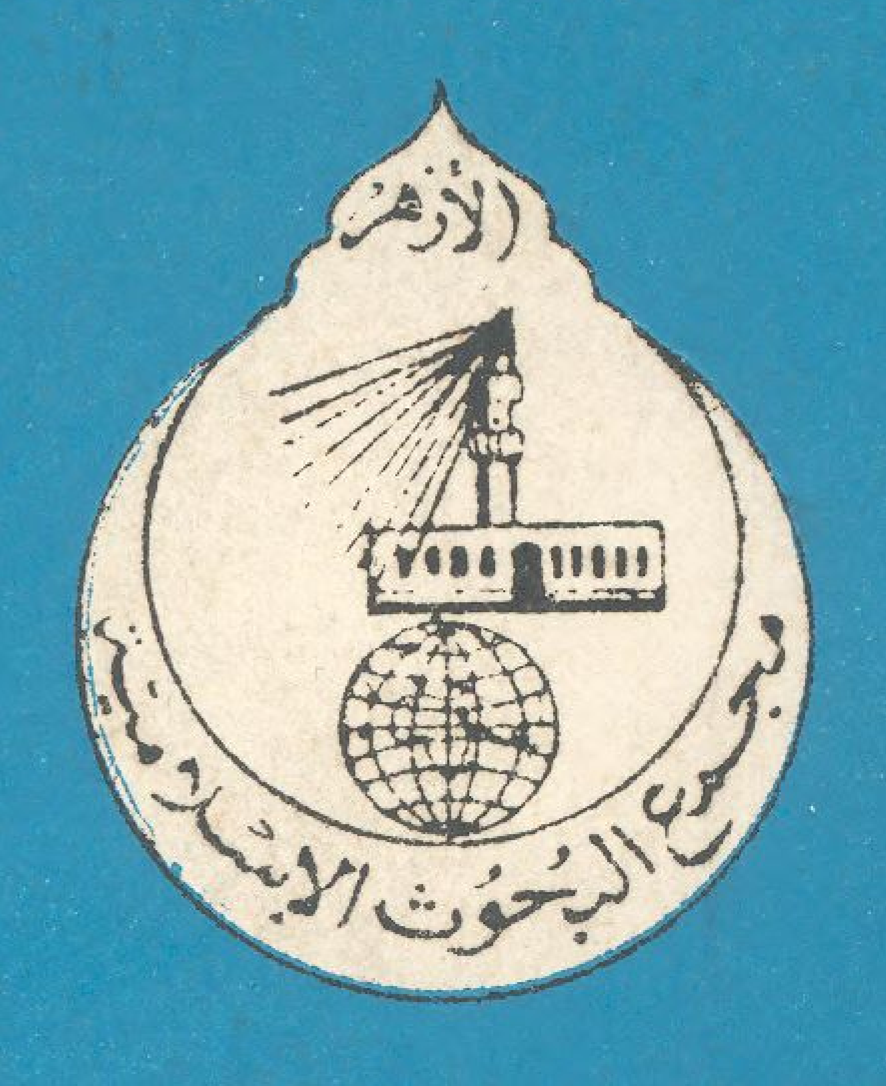


السرايا الحربية في العهد النبوى

تأليف

الدكتور محمد السيد طنطاوى

السنة الثالثة - الكتاب الأربعون

١٦ رمضان ١٣٩١ هـ - نوفمبر ١٩٧١ م

سلسلة البحوث الإسلامية

السرايا الحربية
فى العهد النبوى

تأليف

الدكتور محمد السيد طنطاوى

السنة الثالثة ـ الكتاب الأربعون

١٦ رمضان ١٣٩١ هـ ـ نوفمبر ١٩٧١ م

تقــــديم

لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله كتب النصر للمؤمنين ، وأعز بتاييده وتوفيقه الصادقين الصابرين من عباده المخلصين ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الكريم ، وقائد جيوش الموحدين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه اجمعين •

وبعــــد

فقد رات « الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية » بالازهر فى هذه الظروف التى تتهيأ فيها أمتنا العربية وشعبنا العربى لخوض معركة التحرير ، وتستعد ليوم الفصل يوم الغلبة والنصر أن تقدم الى القارىء المسلم كتابها الجديد (السرايا الحربية فى العهد النبوى) للدكتور محمد السيد طنطاوى ليتيح لقارئه الاطلاع على تلك الحركة العسكرية الدائبة ، والتخطيط الحربى القويم ، الذى كان يضطلع باعبائه ، ويضع أسسه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته معه •

واننى لعلى يقين من أننا سنحنى رؤوســنا اكبارا وتقديرا ، واعجابا بالقيادة الاسلامية اليقظة الواعية ، لأن فى أسلوب هــذه القيادة عند بعث سراياها ، وفى حسن اختيار جنودها •• من البواسل الذين يفضلون الشهادة على الحياة اكبر دعامة للصمود ، وكذلك فى قلة عددها وخفة تحركها وتحسس الأخبار من حولها

وغيبة أنبائها عن عيون العدو عوامل شدت أسباب النصر الى جانب المسلمين فى مواجهة الحشود الكثيرة والاستعدادات المتكاملة .

وكثيرا ما يكون فى استعار اوار المعارك ألسنة من لهيب ، تذيب الأقفال الموصدة على قلوب المشركين ، فتنقشع من سمائها ظلمات الشرك والتقليد الأعمى ، ويتفتح البرعم الطاهر النقى فى سويداء القلب ، فتشتاق أوراقه البيضاء أن تسقى بنور الايمان ، وعند ذلك يدخل الناس فى دين الله أفواجا .

لقد أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه المؤمنون بدعوته من مكة بلدهم ، وارغموا على ترك أهليهم واموالهم ، لا لذنب اقترفوه ، ولا لجناية ارتكبوها الا أن يقولوا ربنا الله ، وكانت الهجرة الى المدينة ، البلد الآمن ، الذى آوى الرسول وصحبه ، واحتضن دعوته ، بل وتكفل الأنصار بالدفاع عنها ، ومنعوا الرسول ودعوته وصحبه مما يمنعون منه نساءهم وأموالهم ..

غير أن ذلك وحده لا يكفى لقيام الدولة الاسلامية ، ولا لاعلاء كلمة الله ، واعلام الناس جميعا بها ، فكان لابد اذن من وضع أسس الدولة الجديدة ، والاستعداد لمواجهة العدو المغتصب مواجهة حادة صارمة حازمة ، من أجل رد الحق المغتصب ، وتامين الركب السائر الى معالم التقدم ، فى موكب من نور الايمان ، وصدق اليقين ، لتسعد البشرية كلها ، وليصحح مازاغ من عقائدها ، ويصلح مافسد من شئونها ، ويقوم ما اعوج من أمورها .

وبعد اقامة الرسول بالمدينة مدة تقرب من نصف عام وحد فيها الجبهة الداخلية بالمؤاخاة ، وأمنها بعقد المعاهدات ، ووضع مركز انطلاقها ببناء المسجد النبوى الذى كان ديوانا عاما لمقر الحكم بل كان مجمعا للدواوين ، يمثل مسجدا للصلاة ، ومجلسا للقضاء ، ودارا للفتوى ، ومعسكرا للمحاربين ، ودارا للمحفوظات .. بعد

ذلك وغيره ـ من مقدمات طبيعية واعـداد ضرورى لخوض المعارك الفاصـلة المنتظرة مع الأعـداء ـ كان لابد من بناء الجيش القوى ، والتأكد من كفاءته ، والعمل على رفع مستوى هذه الكفاءة ، بالمواظبة على التدريب الشاق المتواصل ، واختبار طاقات الجنود فى مختلف الظروف ، وتحت أصعب الاحتمالات ٠

لذلك لم يكن الغرض من السرايا الدخول فى معارك فاصلة وانما كان أهم ما تهدف اليه :

أولا : القاء الرعب فى قلوب الاعداء من المشركين ، وايهامهم بأن المسلمين لم يهاجروا ضعفاء أو استخذاء ، أو فرارا من بأس أعدائهم، وانما هاجروا ليعدوا لهم العدة ، ويأخذوا الأهبة لنضالهم ٠

ثانيا : تهديد تجارة قريش ، وزلزلة امنها ، مما يؤثر الى حد كبير على اقتصادياتها التى كان اساسها التجارة مع الشام ٠

ثالثا : تدريب الشباب المسلم وجند الله على الأعمال العسكرية الشاقة ، وعلى تحمل الصعاب ومعرفة فنون القتال فى مختلف الظروف والمناسبات ٠

رابعا : اكتشـاف معظم المواقع حـول المدينة بل ما بين مكة والمدينة والتعرف على قاطنيها من قبائل العرب وبطونهم لأنها جميعا ميدان مجهول للمعركة المقبلة التى لم يكن يعلم على سبيل اليقين أين تقع ومتى تقع ٠

بدأ التحرك فى شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة ، بسرية قادها « حمزة » لاعتراض قافلة قادمة من الشام ٠٠ تتابعت من بعدها الغزوات وتوالت السرايا والبعوث ، حتى بلغت من الكثرة حدا لا يسع المرأ معه الا أن يسجل اعجابه وتقديره لتلك القيادة الواعية ، التى استطاعت أن تمول هذه الانطلاقات ، وأن تضع لها من الخطط ما يضمن لها النصر ، ويحقق منها الأهداف ٠

الا أن أخبار الانتصارات الاسلامية لم يكن مذاقها عذبا سائغا لدى الأعداء ، وانما كانت غصة يتجرعها المستشرقون والمتعصبون ضد الدعوة فلا يكادون يسيغونها • وها هو ذا (ايرفنج) يصرح بأن الاسلام قد انتشر بحد السيف ، وتلك شائعة قديمة ، تعمد أعداء الاسلام ان يروجوا لها ، وأن يصموا بها نجاح الدعوة المحمدية •

وما قالوا ذلك الا استخفافا بعقلية من يسمعون ، والا فان الدراسة الفاحصة لتاريخ الغزوات والسرايا تثبت أنها كانت أقرب ما تكون الى الدفاع منها الى الهجوم •

وماعسى المسلمون أن يفعلوا وقد ظلموا وعذبوا وهجروا من ديارهم وأموالهم ؟!! ولم يتحرك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لغزو يهود المدينة الا بعد أن نقضوا عهود السلام التى كانت قائمة أثر انتصار المسلمين فى غزوة بدر ، وسخروا من المسلمين ، وهتكوا حرمات المسلمات ، وتآمروا على اغتيال الرسول ، ثم تعاونوا مع الأعداء ، وتحالفوا مع الاحزاب فى « غزوة الخندق » ، ونقضوا ـ والمعركة دائرة بينه وبين المشركين ـ ما كانوا قد ابرموه معه من مواثيق للسلام •

وبمثل ذلك كان الأمر فى السرايا والبعوث ! والتاريخ شاهد صدق •• لم تنطلق سرية من قاعدتها الا بعد أن تأكد لدى القيادة الاسلامية ما يدبره الأعداء من كيد ، وما يجمعونه من عدة وحشود •

ونظرة واحدة فى صفحات التاريخ الاسلامى ، وفى الاحصائيات العالمية ، تؤكد لنا أن السيف لم يكن عاملا هاما فى انتشار الاسلام ! وان السواد الأعظم للمسلمين يتمركز فى الدول التى لم يكن السيف فيها عاملا ذا قيمة فى حركة تحويل الملايين عن معتقداتهم القديمة الى الاسلام ، فان اندونيسيا ذات المائة مليون مسلم ، والهند والصين

وسواحل افريقية ، كل هذه الملايين قد آوت الى رحاب الاسلام بالوسائل الهادئة ، بالاقناع وبالرغبة ، وبالحكمة والموعظة الحسنة، وجاء اسلامها نتيجة للتأمل المستنير ، والادراك الواعي لسمو ما جاء به الاسلام من مبادىء ، وما رسمه للانسانية من طرق الخلاص من مهلكاتها ، والأمن والسلام في حياتها •

نضيف الى ذلك •• أن بقاء الأديان الأخرى في ظل الحكومات الاسلامية ، وتمتعها بالحرية الكاملة ، في ممتلكاتها ومعتقداتها ، وفي أداء شعائر دينها •• حقيقة يشهد بها تاريخ الأديان ، ولا يجرؤ على انكارها المنصفون من بني الانسان ! •

ولكن على النقيض من ذلك يسجل التاريخ القـديم ما كابده المسلمون في « الأندلس » ويصور لنا أنهارا من الدماء تسيل بها شوارعها ، وألوانا اخرى من التعسف والكبت والتعذيب ، أشرفت عليها « محاكم التفتيش » في ظل الحكومات القائمة ، وما بقي من المسـلمين في « الأندلس » •• هـو ما يعلمه الجميع من أعـداء وأصدقاء •

وما تزال صفحات التاريخ في وقتنا هذا تسجل كل يوم على الحكومات غير الاسلامية جرائم ومخـازي ترتكب ضـد المسلمين ، تحرمهم من حقوقهم في التملك ، وتحول بينهم وبين التزود بثقافة دينهم ، وتقف دون استخدامهم في وظائف الدولة ، وبالرغم من أنهم أكثرية الشعب لكنهم يعيشون في ظـل حكومة ديكتاتورية متعصبة !!

دعنا اخي القارىء من ذلك كله وتعال معي نطل من خلال هذه الصفحات على تاريخ حافل للبطولة الاسلامية ، فشبابنا اليوم أحوج مايكون الى هذا الزاد ليكون لهم منه معالم حية ، تضيء أمامهم طريق التحرر والنصر « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » •

فالأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية اذ تصدر هذا الكتاب فى شهر رمضان المبارك ، فانما ترجو أن تصل به حاضر الأمة بماضيها التليد ، وان توثق الروابط بين حركة التحرير المعاصرة وحركات التحرير فى عصورنا الاسلامية الغابرة ، فى ضوء التوجيه النبوى الكريم ، والهدى الاسلامى المعصوم .

وانه لمن حق المؤلف علينا أن نقدم له الشكر ، على ما بذله من جهد موفق فى خدمة هذا الموضوع وجزاه الله عنا وعن الاسلام خير الجزاء (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون) .

الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية
دكتور محمد عبد الرحمن بيصار

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين اهتدوا بهديه الى يوم الدين .

أما بعد : فان دراسة مغازى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسراياه ، تهدى الى الرشد ، وتحمل على الاتعاظ والاعتبار ، وتغرس فى النفوس الشعور بالعزة والكرامة والاباء ، وتصل المسلمين بماضيهم المجيد ، وبتاريخهم العظيم

ولقد كان أسلافنا الصالحون ينشئون أولادهم على معرفة غزوات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسراياه ، ويقفونهم على ما فيها من ألوان الخير والتضحية والأخوة والايثار .

قال زين العابدين على بن الحسين : كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما نعلمهم السورة من القرآن .

وعن اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص قال : « كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول : « يابنى ، هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها » .

وهذا البحث الذى اقدمه عن « البعوث والسرايا الحربية فى العهد النبوى » دفعنى الى كتابته أمور من اهمها : ان الظروف التى نعيشها فى هذه الأيام تحتم علينا ان نتدبر غزوات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسراياه وبعوثه حتى نأخذ منها الدروس النافعة ، التى تعيننا على الصمود فى وجه البغاة المفسدين ، والتى

تدفعنا الى مواصلة الجهـاد فى سـبيل الله بايمان عميق ، وعزيمة صادقة ، وخطة محكمة ، وصـلابة لا تعرف الخور او التردد ، حتى يتحقق لنا النصر ـ بعون الله ـ على أعدائه وأعدائنا الذين يجثمون على بقاع غالية عزيزة من اوطاننا .

كذلك مما دعانى الى الكتابة فى هذا الموضوع اننى وجدت كثيرا من المثقفين ـ فضلا عن غيرهم ـ لا يكادون يعرفون شيئا عن تلك السرايا والبعوث التى كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرسلها بين وقت وآخر لاعلاء كلمة الله ، وتأديب الصـادين عن سـبيله ، والمحاربين لدينه .

وقد حاولت فى هذا البحث أن أبين ما تم فى العهد النبوى من بعوث وسرايا ، باسلوب علمى محرر من الحشو والدخيل ، معتمدا فى ذلك على أوثق المصادر واجمعها .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ونافعا لعباده ، انه على ما يشاء قدير ، نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

محمد سيد طنطاوى
مدرس بكلية أصول الدين
جامعة الأزهـر

« بين السرية والغزوة »

السرية : طائفة مختارة من الجيش يرسلها الإمام لقتال أعدائه ، أو إرهابهم ، أو استكشاف أحوالهم أو غير ذلك من المقاصد التى تعود بالخير على المسلمين وسميت سرية لأنها تسرى خفية ، أى تتحرك فى تكتم وتستر ، وتبدأ من خمسة أشخاص ، وقد تصل إلى أربعمائة .

قال صاحب لسان العرب : « والسرية قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلثمائة ، وقيل : هى من الخيل نحو أربعمائه . يقال : وخير السرايا أربعمائة رجل . وسميت سرية لأنها تسرى ليلا فى خفية لئلا يعلم بهم الأعداء فيحذروا أو يمتنعوا » وقيل : سميت سرية لأن أفرادها يكونون خلاصة العسكر وخيارهم ، مأخوذ من الشىء السرى النفيس . وفى الحديث « يرد متسريهم على قاعدهم » ومعنى الحديث : أن الإمام أو أمير الجيش يبعثهم وهو خارج إلى بلاد العدو ، فإذا غنموا شيئاً كان بينهم وبين الجيش عامة لأنهم ردء لهم

وفئة ، فأما إذا بعثهم وهو مقيم فإن القاعدين معه لا يشاركونهم في الغنم ، وإن كان جعل لهم نفلا من الغنيمة لم يشركهم غيرهم في شيء منه[1] . . . اهـ ملخصا .

وقال عند كلامه على مادة « بعث » : « بعثه يبعثه بعثاً أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره . والبعث : الرسول ، والجمع بعثان ، والبعث : بعث الجند إلى الغزو ، وقولهم : كنت في بعث فلان أي في جيشه الذي بعث معه ، والبعوث الجيوش . . . »[2] اهـ ملخصاً .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : « والسرية قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه ، وهي من مائة إلى خمسمائة ، فما زاد على خمسمائة يقال له مَنْسِر ، فإن زاد على الثمانمائة يسمى جيشاً ، فإن زاد على أربعة آلاف يسمى جحفلا ، فإن زاد فجيش جرار . والخميس: الجيش العظيم ، وما افترق من السرية يسمى بعثاً[3]... » اهـ ملخصا .

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ ١٩ ص ١٠٥ . طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٢ ص ٤٢١ طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٣) فتح الباري لابن حجر جـ ٩ ص ١١٨ طبعة الحلبي .

وقد تطلق السرية على العدد الذى يقل من الخمسة عند بعض العلماء، قال الإمام محمد بن الحسن الشيبانى : « ولا بأس للإمام أن يبعث الرجل الواحد سرية أو الإثنين أو الثلاثة إذا كان محتملا لذلك، لما روى من أنه — صلى الله عليه وسلم — بعث حذيفة بن اليمان فى بعض أيام الخندق سرية وحده، وبعث عبد الله ابن أنيس سرية وحده، وبعث ابن مسعود وخبابا سرية.

والذى روى من أن النبي — صلى الله عليه وسلم — نهى أن تبعث سرية دون ثلاثة نفر تأويله من وجهين. إما أن يكون ذلك على وجه الإشفاق بالمسلمين من غير أن يكون ذلك مكروها فى الدين وإما أن يكون المراد بيان أن من الأفضل ألا يخرج أقل من ثلاثة ليتمكنوا من أداء صلاة الجماعة على هيئتها بأن يتقدم أحدهم ويصطف الاثنان خلفه »[1].

ونحن فى هذا البحث سنختار ما اصطلح عليه جمهور العلماء وأهل السير من أن كل عسكر حضره النبي — صلى الله عليه وسلم — بنفسه الكريمة فإنه يسمى غزوة وما لم يحضره بل اختار

(١) شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى جـ ١ ص ٦٩ . تحقيق الدكتور صلاح المنجد .

بعضا من أصحابه فأرسلهم إلى أعدائه، دون أن يكون معهم فإنه يسمى سرية وبعثا، وهذا هو الفرق بين الغزوة والسرية.

عدد الغزوات والسرايا

للعلماء أقوال متعددة فى عدد الغزوات والسرايا التى تمت فى العهد النبوى والذى عليه أئمة المغازى كابن إسحاق، وابن سعد، والواقدى وغيرهم أن الغزوات التى حضرها النبي — صلى الله عليه وسلم — بنفسه تبلغ سبعًا وعشرين غزوة.

قال محمد بن إسحاق: «وكان جميع ما غزا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بنفسه سبعا وعشرين غزوة، منها: ١ — غزوة وَدَّان وهى غزوة الأبواء — ٢ — ثم غزوة بُوَاط من ناحية رَضْوَى، ٣ — ثم غزوة العشَيْرة من بطن ينبُع. ٤ — ثم غزوة بدر الأولى بطلب كرز بن جابر. ٥ — ثم غزوة بدر الكبرى التى قتل الله فيها صناديد قريش ٦ — ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان ابن حرب. ٧ — ثم غزوة غطفان وهى غزوة ذى أَمَرّ. ٩ — ثم غزوة بَحْران معدن بالحجاز. ١٠ — ثم غزوة أُحد. ١١— ثم غزوة حمراء الأسد. ١٢ — ثم غزوة بنى النضير. ١٣ — ثم غزوة دومة الجندل ١٦ — ثم غزوةُ الخندق ١٧ — ثم غزوة بنى قريظة.

١٨ — ثم غزوةُ بنى لحيان من هُذَيل ١٩ — ثم غزوة ذى قَرَد ، ٢٠ — ثم غزوة بنى المصطلق ٢١ — ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ٢٢ — ثم غزوة خيبر ٢٣ — ثم عمرة القضاء ٢٤ — ثم غزوة الفتح الأعظم ٢٥ — ثم غزوة حنين ٢٦ — ثم غزوة الطائف ٢٧ — ثم غزوة تبوك . ثم قال : « وقد قاتل النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى تسع غزوات منها هى : بدر، وأحد ، والخندق، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر . والفتح ، وحنين ، والطائف[1] .

ويرى بعض العلماء أن عدد غزواته ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبلغ ستا وعشرين وقيل : خمسا وعشرين ، وقيل : أربعا وعشرين وقيل : إحدى وعشرين . وقيل تسع عشرة .

قال صاحب المواهب : « ويمكن الجمع ـ على نحو ما قال السهيلى ـ بأن من عدها دون سبع وعشرين نظر إلى شدة قرب بعض الغزوات من غيره ، فجمع بين غزوتين وعدهما واحدة ، فضم لغزوة الأبواء غزوة بواط لقربهما ، إذ الأبواء فى صفر وبواط فى ربيع الأول ، وضم حمراء الأسد لأحد لكونها صبيحتها ، وضم قريظة للخندق لكونها ناشئة عنها ، وضم وادى القرى لخيبر

(١) سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٢٨٠ طبعة المكتبة التجارية .

لوقوعها فى رجوعه من خيبر قبل دخول المدينة ، وضم الطائف لحنين لانصرافه منها ... »[1].

أما عدد البعوث والسرايا التى أرسلها النبى - صلى الله عليه وسلم - فى حياته فيرى ابن سعد فى طبقاته أنها تبلغ سبعاً وأربعين[2] وقال ابن إسحاق : « كانت بعوثه - صلى الله عليه وسلم - وسراياه ثمانيا وثلاثين بعثا وسرية . . »[3].

وقال ابن عبد البر : كانت بعوثه وسراياه خمساً وثلاثين . وقيل غير ذلك . ويبدو أن رأى ابن سعد هو الرأى الراجح ، لأن المحصى بدقة وعناية للسرايا والبعوث التى تمت فى العهد النبوى يجدها قريبة مما قاله - رحمه الله - .

---

(1) شرح المواهب للزرقانى حـ ١ ص ٢٨٨ ، طبعة المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٥ هـ .

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد حـ ٢ ص ٢ . طبعة دار التحرير .

(3) سيرة ابن هشام حـ ٤ ص ٢٨١ .

أهداف السرايا

من المعروف أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يرسل بعوثه وسراياه إلا بعد أن شرع الله له القتال فى سبيله ، من أجل إعلاء كلمته ، ورفع الظلم الذى نزل بالمسلمين من أعدائهم .

قال تعالى : « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهم ظُلِمُوا وَأَنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِم لَقَدِير . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا الله ، وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز[1] .

وقد أذن الله للمسلمين بالقتال بعد أن أسس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدولة الإسلامية الفتية بالمدينة على العقيدة السليمة ، والأخوة الصادقة ، وإيثار الموت فى سبيل الله على كل مغريات الحياة .

وقد بادر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإرسال بعوثه وسراياه بعد ذلك إلى مختلف الأماكن لمقاصد سامية ، وحكم عالية ، وأهداف نبيلة ، من أهمها ما يلى :

---

(١) سورة الحج الآية ٤٠ .

١ — مطاردة القوافل التجارية التى يملكها مشركو مكة ، ومصادرتها لصالح للسلمين ، عند ذهابها إلى بلاد الشام أو عودتها منها ، وقتل الذين يقومون بحراسة هذه القوافل من مشركى مكة أو أسرهم .

إذ فى ذلك شفاء لصدور المؤمنين الذين كانوا يعيشون فى بلدهم مكة آمنين مطمئنين ، فأخرجوا منها بغير حتى إلا أن يقولوا ربنا الله ، وفيه - أيضاً - تعويض لهم عما فقدوه من أموال انتهبها المشركون منهم ظلماً وعدواناً .

ولعل هذا هو السر فى أن جميع السرايا التى بعثها النبى - صلى الله عليه وسلم - قبل غزوة بدر للاغارة على تجارة قريش ، كان جميع أفرادها من المهاجرين دون الأنصار . لأن المهاجرين هم الذين اكتووا بنار قريش وظلمها وبطشها ، أما الأنصار فقد كانوا عاهدوا النبى - صلى الله عليه وسلم - فى بيعة العقبة على نصرته ، إذا ما داهم المشركون المدينة .

٢ — إفهام قريش بأن عهود الضعف التى كان المسلمون يعيشونها فى مكة قد ولت إلى غير رجعة ، وأنهم أقاموا فى المدينة دولة قوية عزيزة تستطيع أن ترهب قريشاً ، وأن تزلزل كيانها ، وأن تلحق بها الأضرار الفادحة .

فعلى قريش أن تثوب إلى رشدها ، وأن تتفاهم مع المسلمين تفاهماً يقى الطرفين شرور العداوة والبغضاء ، ويكفل للدعوة الإسلامية أن تأخذ مكانها تحت الشمس بحرية وأمان وانطلاق ، ويبيح للمسلمين فى كل مكان أن يدخلوا مكة وأن يطوفوا بالبيت العتيق .

وعليها — أيضاً — بأن توقن بأنها إذا لم تفعل ذلك ، بل تمادت فى غرورها وعنادها ، فإن سرايا المسلمين قادرة على أن تقتص من كل باغ عليهم قصاصا يخيفه ويروعه ولقد بدأت قريش بعد اعتراض السرايا الإسلامية لقوافلها — تقدر قوة المسلمين حق قدرها وتسلك بتجارتها طرقاً أخرى بعيدة عن المدينة حتى لا تتعرض لتهديد المسلمين لها .

٣ — إشعار كل مناوىء للدعوة الإسلامية من اليهود والمنافقين وأعراب البادية الضاربين حول المدينة ، وغيرهم من الطوائف التى تسير فى ركاب قريش أو تؤذى المسلمين باللسان أو اليد ، إشعار هؤلاء جميعاً بأن أتباع الدعوة الإسلامية قادرون على إرهاب أعداء الله وأعدائهم ، وفى إمكانهم أن يزهقوا روح كل إنسان يتطاول على عقيدتهم أو ينتقص من شأن دينهم .

ولقد خرست الألسن التى كانت تهون من شأن المسلمين ، وذلت نفوس اليهود والمنافقين وأصحاب القلوب المريضة ، بعد أن رأوا سرايا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تقتص من الذين يحاربون الله ورسوله، فتزهق أرواحهم فى عقر دارهم كما حدث بالنسبة لكعب ابن الأشرف ، وأبى عفك اليهودى ، وعصماء بنت مروان ، وسفيان الهُذَلى ، وابن أبى الحقيق ، وأُسَيْرُ بن رزام وغيرهم .

٤ — التعرف على أحوال الأعـداء ، ورصد تحركاتهم ، واستكشاف ميولهم واتجاهاتهم وبذلك يكون المسلمون قد فهموا طبيعة أعدائهم ، وما هم عليه من قوة أو ضعف ، فيتمكنوا من أعداد السلاح الذى يكفل لهم النصر عليهم .

ولقد كان هذا المقصد واضحا فى وصايا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبعض سراياه ، فعندما بعث ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن جحش للتعرض لعير قريش ، أعطاه كتاباً مختوماً وأمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين ، وكان فيه « إذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصَّد بها قريشاً ، وتعلَّم لنا من أخبارهم » .

ولقد تأسى الصحابة بهذا التوجيه النبوى الكريم ، فكانوا يوصون قادتهم بالتعرف على أحوال أعدائهم ، فهذا عمر - رضى الله عنه - يوصى سعدا فيقول له : « تعرف الأرض كلها معرفة أهلها » ويقول له - أيضاً - أذك العيون[1] بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم » . وأوصى الإمام على ابنه محمداً بأن يستكمل دراسته لأحوال عدوه فقال له : « ارم ببصرك أقصى القوم » .

أى : كن عليما بجميع حركات أعدائك ، ومواقعهم وأعدادهم وأسلحتهم حتى تكون على بصيرة من أمرهم فتقاتلهم بالسلاح الذى يهزمهم .

وقال الإمام الرخى : « وليس المقصود من بعث السرايا القتال فقط ، بل تارة يكون المقصود من ذلك أن يتحسسوا أخبار الأعداء وقد يكون تمكن الواحد من الدخول بين الأعداء لتحصيل هذا المقصود أظهر من تمكن الاثنين أو الثلاثة ، ولهذا كان الرأى فيه إلى الأمير يعمل بما فيه خير المسلمين »[2] اهـ ملخصا .

---

(١) أذكى النار : أوقدها . وأذكى العيون : نشر الرجال وبثهم لجمع أخبار أعدائه .

(٢) شرح كتاب السير الكبير للشيبانى حـ ١ ص ٧٠ . مطبعة مصر سنة ١٩٥٨ .

٥ — تثبيت هيبة المسلمين فى نفوس أعدائهم ، وإدخال الوهن والفزع فى قلوبهم ، عن طريق تلك البعوث والسرايا التى كانت تشن الغارة على كل معتد أثيم سواء أكان فى شمال الجزيرة أو فى جنوبها فى شرقها أو فى غربها ، فى الشتاء أو فى الصيف ولا شك أن هذا العمل الجرىء من جانب المسلمين يجعل أعداءهم يخشون بأسهم ، ويخضعون لإرادتهم ، ويقفون منهم موقف الضعيف من القوى . وأعتقد أنه لولا هذه السرايا والبعوث التى أظهرت قوة المسلمين وبطولتهم لطمع فيهم أعداؤهم .

وصدق الله إذ يقول : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ »(١) .

ولقد استجاب النبى — صلى الله عليه وسلم — لهذا الأمر ، فقاد سبعاً وعشرين غزوة فى أقل من عشر سنوات ، وأرسل زهاء خمسين سرية وبعثا من أجل نصرة الحق وتأديب أعدائه .

وكان من نتائج ذلك أن علت راية الإسلام فى الآفاق ، وأضحت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الأنفال .

ولقد صرح – صلى الله عليه وسلم – بأنه يود أن يخرج مع كل سرية يرسلها فقال : « والذى نفسى بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف[1] سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل »[2].

٦ – دعوة الناس إلى الدين الحق ، وإرشادهم إلى ما يسعدهم فى دينهم ودنياهم . وقد كان ذلك هو المقصد الأساسى لكل بعث أو سرية لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما لجأت سراياه وبعوثه إلى القتال إلا بعد أن أبى الأعداء الاستجابة للهدى ، وأصروا على العناد والضلال .

ولقد كان – صلى الله عليه وسلم – يوصى أمراء السرايا والبعوث بما طبع عليه من الأخلاق السامية ، والآداب العالية .

فعن أنس – رضى الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

---

(١) أى ما تخلفت عنها .
(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

« انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلا صغيراً ولا امرأة ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »(١)

وعندما أعطى النبي - صلى الله عليه وسلم - الراية لعلى فى غزوة خيبر ، قال له على : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - « انفُذْ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم »(٢).

ولقد نفذ على - رضى الله عنه - وصية رسول الله ، فعندما وصل إلى حصون أعدائه دعاهم إلى الإسلام ثلاث مرات ، ولكنهم عموا وصموا عن الحق فلم يجد مفراً من قتالهم .

وعندما أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الرحمن ابن عوف إلى دُوَمة الجَنْدل ، أقعده بين يديه وعممه بيده ، ثم أوصاه بقوله : « اغز باسم الله وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر ولا تغل ،

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) صحيح البخارى . باب غزوة خيبر ﺟ ٥ ص ١٧١ .

ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا » ثم قال له : « إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم .

ولقد نفذ عبد الرحمن بن عوف وصية رسول الله أكمل تنفيذ ، فمكث ثلاثة أيام يدعو أهل دومة الجندل إلى الإسلام بعد وصوله إليهم ، وقد استجاب معظمهم له فى اليوم الثالث وكان من بين الذين استجابوا له الاصبغ بن عمرو الكلبي زعيم القوم فتزوج عبد الرحمن بن عوف ابنته تلبية لوصية رسول الله ، وتوطيداً لعوامل الود والمحبة بين الناس .

وعندما خرج — صلى الله عليه وسلم — ليودع الجيش المتجه إلى مؤته كان مما قاله لأفراده : « أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا ، اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، ولا امرأة ولا كبيراً ولا فانيا ، ولا منعزلا فى صومعة ، ولا تقربوا نخلا ، ولا تقطعوا شجرا ، ولا تهدموا بناء »[1] .

وكانت هذه السرايا والبعوث تخرج لمهام معينة لا تتجاوزها ،

---

(١) شرح المواهب للزرقانى حـ٢ ص ٢٦٩ .

فهى لا تقاتل كل من يقابلها فى طريقها ، وإنما تقاتل فقط من أمرها النبي - صلى الله عليه وسلم - بقتاله .

تدبر معى تلك القصة التى تؤيد ذلك : أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - عمر بن الخطاب على رأس ثلاثين رجلا لقتال هوازن . وكان مع المسلمين دليل ليدلهم على ديار القوم . فلما وصل عمر إليهم وجدهم قد هربوا من ديارهم . .

وبعد أن يئس عمر من العثور عليهم قفل راجعاً إلى المدينة بمن معه ، وفى الطريق قال الدليل - وكان رجلا من بنى هلال - لعمر : « يا عمر ، هل لك فى قتال جمع آخر من خثعم لتغنم منهم الكثير ، فقال له عمر : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يأمرنى إلا بقتال هوازن فى أرضهم ولم يأمرنى بقتال غيرهم ، ولو أمرنى لفعلت » .

وهكذا نجد أن بعوث النبي - صلى الله عليه وسلم - وسراياه ، كان الهدف الأساسى منها نشر دين الله فى الأرض ، وإرشاد الناس إلى كل خير وفلاح ، وتأديب الضالين والغادرين الذين إن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا .

سرايا السنة الأولى من الهجرة

١ — سرية حمزة إلى العيص :

فى شهر رمضان من السنة الأولى أرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — عمه حمزة بن عبد المطلب فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ، وعقد له لواء أبيض حمله أبو مرثد كناز بن الحصين الغنوى حليف حمزة بن عبد المطلب . وكان الهدف من إرسال هذه السرية اعتراض عير لقريش قادمة من بلاد الشام فى طريقها إلى مكة . بقيادة أبى جهل ابن هشام ومعه ثلثمائة رجل من المشركين فسار حمزة ومن معه إليها حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص[١] ، فالتقى بتجارة قريش هناك ، واستعد الفريقان للقتال مع أن عدد المسلمين كان عشر عدد المشركين تقريباً ولكن القتال لم يتم لأن « مجدى بن عمرو الجهنى » حجز بينهم ، فتوجه أبو جهل ومن معه إلى مكة ، وعاد حمزة وصحبه إلى المدينة .

(١) العيص : اسم موضع على ساحل البحر كانت تسلكه قريش وهى فى طريقها للتجارة بالشام .

ولقد شكر النبي — صلى الله عليه وسلم — « مجدى بن عمرو على محاجزته بين الفريقين ، نظراً لقلة عـدد المسلمين بالنسبة المشركين .

وينسب بعض المؤرخين لحمزة شعراً قاله بهذه المناسبة، ومنه قوله

فلما تراءينا أناخوا فعقّلوا
مطايا ، وعقّلنا مدى عرَض النّبل

فقلنا لهم حبل الإله نصيرنا
وما لكم إلا الضلالةَ من حبل

فثار أبو جهل هنالك باغياً
فخاب ورد الله كيدَ أبى جهل

وما نحن إلا فى ثلاثين راكباً
وهم مائتان بعد واحدةٍ فضل

فيال لؤَى لا تطيعوا غواتكم
وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل

فإنى أخاف أن يُصَب عليكم
عذابٌ فتدْعوا بالندامة والثكل

٢ — سرية عُبَيدة إلى رابغ :

وفى شهر شوال أرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — ابنَ عمه عُبَيدة بن الحارث فى ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، وعقد له لواء أبيض حمله « مسطح بن أُثاثة » وذلك لكى يعترض عير لقريش يحرسها مائتا رجل من أهل مكة على رأسهم أبو سفيان[١] ابن حرب فسار عبيدة ومن معه من المسلمين حتى التقوا بعير قريش ببطن رابغ[٢] ، قال ابن هشام . « فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد ابن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به فى الإسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم »[٣] .

وبعد انصراف كل من الفريقين عن الآخر ، ولى المشركون الأدبار مسرعين السير إلى مكة خوفا من أن يكون للمسلمين كمين أومدد ، وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البَهْرَانى وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

(١) هذا ما ذكره ابن سعد ، أما ابن اسحاق فذكر أنه كان على رأسهم عكرمة بن أبى جهل ، وقيل كان على رأسهم مكرز بن حفص .

(٢) واد بين الحرمين قرب البحر على بعد عشرة أميال من الجحفة .

(٣) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٢٤ . طبعة المكتبة التجارية .

٣ — سرية سعد :

وفى شهر ذى القعدة من السنة الأولى بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — سعد بن أبى وقاص فى عشرين[1] رجلا من المهاجرين إلى الخرار[2] ، لكى يعترض عيراً لقريش كانت محملة بالأطعمة . والأكسية . وعهد إليه ألا يتجاوز ذلك المكان لأنها ستمر به منه .

قال سعد — رضى الله عنه — « فخرجنا على أقدامنا فكنا نكمن النهار و نسير الليل حتى صبحناها صبح خمس ، فوجدنا العير قد مرت بالأمس فانصرفنا إلى المدينة[3] » .

هذا ، وقد كانت هذه السرايا الثلاث فى الثلث الأخير من السنة الأولى للهجرة ، بعد أن أذن الله للمسلمين بالقتال حماية للحق ، ودفعاً للظلم وقمعاً للعدوان ، وكان جميع الذين اشتركوا فيها من المهاجرين دون الأنصار .

* * *

(١) هذا ما جاء فى الطبقات لابن سعد ، وعند ابن هشام أن الذين معه كانوا ثمانية رجال .

(٢) الخرار : واد فى الحجاز يصب فى الجحفة .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ٢ ص ٤ .

سرايا السنة الثانية

١ — سرية عبد الله إلى نخلة :

وفى شهر رجب من السنة الثانية أرسل النبى — صلى الله عليه وسلم — عبد الله بن جحش ومعه أثنا عشر رجلا[١] كلهم من المهاجرين ، وأعطاه كتابا مختوما وأمره ألا يفتحه إلا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره أحداً من أصحابه ، فسار عبد الله يومين ثم فتح الكتاب فإذا فيه : « إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم[٢] » .

فقال عبد الله بعد أن قرأ الخطاب : سمعاً وطاعة ، ثم قال لأصحابه قد أمرنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن أمضى إلى نخلة أرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحداً

(١) وقيل كان الذين معه ثمانية رجال .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢٩ .

منكم فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق معي ، ومن كره ذلك فليرجع ؛ فأما أنا فسأمضي لتنفيذ أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم عاد يقول : « من كان يريد الموت فليمض وليوص فإني موص وماض لأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — واستجاب الجميع لنداء البطولة والشرف ؛ وقال الجميع لعبد الله : ونحن سنمضي معك فلست أحرص على الشهادة منا .

وهكذا تكون إثارة حوافز التضحية في القلوب بلا إرغام ولا احتيال ؛ فمما لا شك فيه أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يعرف نقاء معدن هؤلاء الرجال ، ولكنه ترك الخيار في هذا الموطن ليزدادوا ثقة ورضا ، وليقوموا بما كلفوا به من أعمال عن طواعية واختيار .

ولعله — صلى الله عليه وسلم — لم يخبرهم وهم بالمدينة بمهمتهم ، خوفاً من شيوع الخبر فيدل عليهم الأعداء من المنافقين أو اليهود فتترصد لهم قريش . ولا يخفى أن عدد أفراد السرية كان قليلا .

ثم سار عبد الله بمن معه إلى المكان الذي حدده له النبي — صلى الله عليه وسلم — حتى إذا وصل إلى موضع يقال له بَحْران تخلف عنه سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان لأن بعيرهما الذي

كانا يتعقبانه ضل منهما فأخذا يبحثان عنه ، ومضى عبد الله ابن جحش وبقية أصحابه حتى وصلوا نخلة ، فمرت بهم عير لقريش تحمل زبيباً وأدما وتجارة من تجارة قريش وهى فى طريقها إلى مكة ، وكانت فى حراسة عمرو بن الحضرمى ، وعثمان بن عبد الله ابن المغيرة وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان . .

قال ابن إسحاق : وتشاور عبد الله ومن معه فى شأنهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب فقالوا : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخُلُن الحرم فَلَيَمْتَنِعُنَّ منكم به ، ولئن قتلتموهم لَتقتُلُنَّهم فى الشهر الحرام ، فترددوا وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم . فرمى واقدُ بنُ عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان ، وهرب نوفل بن عبد الله[1] » .

ثم عاد عبد الله بن جحش ومن معه بالعير وبالأسيرين حتى قدموا المدينة دون أن يتمكن المشركون من اللحاق بهم ، وعندما التقى عبد الله ومن معه برسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٠ .

لهم : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » . فلما قال لهم ذلك سُقِط فى أيديهم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا الرجال ، فأنزل الله — تعالى — قوله :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ، وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ، وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[1] » .

قال الامام ابن كثير معلقاً على هذه الآية الكريمة : « أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام ، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ، والفتنة أكبر من القتل ،

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين[1] » .

وقال صاحب المواهب : « فلما نزلت هذه الآية فرج الله عن المسلمين وعن أهل السرية ما كانوا فيه، ولكنهم ظنوا أنه إنما نفى عنهم الإثم فلا أجر لهم فطمعوا فيه فقالوا يا رسول الله : أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله تعالى : « إِنَّ الذينَ آمَنُوا والذينَ هاجَرُوا وجاهَدُوا فى سَبيلِ الله أولئكَ يَرْجُونَ رحمةَ الله والله غفورٌ رحيم[2] » . فوضعهم الله — تعالى — من ذلك على أعظم الرجاء[3] .

ثم بعثت قريش بعد ذلك إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى فداء الأسيرين اللذين أسرهما المسلمون وهما عثمان ابن عبد الله والحكم بن كيسان فلم يقبل النبى ﷺ منهم ذلك بل قال : « لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا » يعنى سعد بن

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٥٤ . طبعة الحلبى .

(٢) البقرة ٢١٨ .

(٣) شرح المواهب للزرقانى جـ ١ ص ٢٩٨ . طبعة المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٥ .

أبى وقاص وعتبة بن غزوان » فأنا نخشا كم عليهما ، تقتلوهما نقتل صاحبيكم « وبعد أيام قدم سعد وعتبة فقبل النبى ﷺ فداء الحكم وعثمان مقابل أربعين أوقية لكل واحد منهما . وقد أسلم الحكم بعد ذلك ومات شهيداً يوم بئر معونة . أما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً .

وقد اختلف المؤرخون فى شأن تلك الغنيمة التى غنمها عبد الله ابن جحش ومن معه فقال بعضهم : إن عبد الله بن جحش قد قسمها بين أصحابه وعزل خمسها باجتهاد منه لرسول الله ﷺ قبل أن يفرض الخمس فكان أول خمس خمس فى الإسلام . وقال آخرون : بل قدم عبد الله ومن معه بالغنيمة كلها إلى المدينة ، فأوقفها رسول الله ﷺ حتى رجع من بدر ، فقسمها مع غنائم بدر وأعطى كل قوم حقهم[1] .

قال ابن هشام : فكانت غنيمة عبد الله بن جحش ومن معه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وكان عمرو بن الحضرمى أول قتيل قتله المسلمون . وكان عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول أسيرين أسرهما المسلمون[2] ا . هـ . ملخصا .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٢ ص ٤ طبعة دار التحرير سنة ١٩٦٨
(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٤٣ : المكتبة التجارية ؛

هذا ، وقد رد عبد الله بن جحش على المشركين الذين اتهموا المسلمين بأنهم انتهكوا حرمة الشهر الحرام فقاتلوا فيه فقال :

تعُدون قتلاً فى الحرام عظيمةً وأعظمُ منه لو يرى الرشدَ راشد
صدودكمُ عما يقول محمدٌ وكفرٌ به والله راءٍ وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهلَه لئلا يُرى لله فى البيت ساجد
فإنا — وإن عَيَّرتمونا بقتله — وأُرجِفَ بالإسلام باغٍ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحَنا بنخلةَ لما أوقد الحرب واقد
دماً وابنُ عبد الله عثمانُ بيننا ينازعه غِلٌّ من القيد عاندُ

ولقد واصل عبد الله بن جحش بعد ذلك جهاده فى سبيل الله فشهد غزوة بدر وقاتل فيها قتال الأبطال ، ثم استشهد فى غزوة أحد بعد أن أبلى أحسن البلاء .

ويحدثنا التاريخ أنه — رضى الله عنه — قبل أن يخوض غمار معركة أحد ، انتحى بصديقه سعد بن أبى وقاص جانبا وقال له : هلم فلندع الله ، وليذكر كل واحد منا حاجته فى دعائه ، وليؤمن الآخر على دعاء أخيه . . .

ورفع سعد يديه إلى السماء فقال : « يارب ، إذا لقيت العدو غداً فلقنى رجلا شديداً بأسه ، شديداً حرده — أى غضبه — أقاتله فيك ويقاتلنى ، ثم ارزقنى عليه الظفر حتى أقتله وآخذ سلبه » .

وجاء دور عبد الله فى الدعاء فابتهل إلى الله وقال : « اللهم ارزقنى غداً رجلا شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله فيك ويقاتلنى ، فيقتلنى ، ثم يأخذنى فيجدع — أى يقطع — أنفى وأذنى ، فإذا لقيتك قلت لى : يا عبد الله ، فيم جدع أنفك وأذناك ؟ فأقول : فيك يارب وفى رسولك ، فتقول لى : صدقت يا عبد الله » وقد تحققت دعوة عبد الله فقد سقط شهيداً فى أحد بعد أن جاهد فى سبيل الله حق الجهاد ، ومثل المشركون بجسده .

فقطعوا أنفه وأذنيه ، وفيه قال صديقه سعد : « كانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتى ، لقد رأيته آخر النهار — من أحد — وأن أذنه وأنفه معلقان فى خيط » .

[ومن هنا أطلق عليه لقب « المجدع » أى : المقطع الأطراف]
ورجعت نفس عبد الله ابن جحش إلى ربها راضية مرضية ، وكان عمره — رضى الله عنه — حين نال الشهادة فوق الأربعين بقليل .

٢ – سرية عمير لقتل عصماء :

وفى رمضان من السنة ذاتها قتل عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان اليهودية زوجة يزيد بن زيد الخطمى ، وكان عمير يدعى القارىء لأنه كان يؤم بنى خطمة فى الصلاة وسبب قتله لتلك المرأة ، أنها كانت تعيب الإسلام ، وتؤذى النبي – صلى الله عليه وسلم – وتحرض عليه وتقول الشعر ، وعندما حدثت معركة بدر قالت شعراً تهجو به المسلمين ، فلما سمعها عمير نذر إذا رد الله – تعالى – رسوله – صلى الله عليه وسلم – سالما من بدر فإنه سيستأذنه فى قتلها .

وبعد غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها وعودة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة ، استل عمير سيفه وذهب إليها فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها ، وحولها نفر من ولدها نيام ، فجسها بيده – وكان ضرير البصر – ونحى الصبي القريب منها عنها مخافة أن يصيبه شىء ، ثم وضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ثم رجع فأتى المسجد فصلى الصبح مع النبي – صلى الله عليه وسلم – بالمدينة .

فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم يارسول الله ، فهل عليّ فى ذلك شىء ؟ فقال : صلى الله عليه وسلم — « لا ينتطح فيها عنزان » أى : لا يعارض فيها معارض ليأخذ بثأرها ، لأنها مهدورة الدم ، وكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من النبي — صلى الله عليه وسلم .

ولقد تحقق ما أخبر به النبي — صلى الله عليه وسلم — فقد ذكر ابن اسحاق وغيره « أن عميرا رجع إلى قومه بعد قتلها فوجد بنيها وهم خمسة رجال فى جماعة يدفنونها فقال لهم : أنا قتلتها فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون ، فوالله لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفى هذا حتى أموت أو أقتلكم .

وقد أثنى النبي — صلى الله عليه وسلم — على عمير بعد قتله تلك المرأة ، فأقبل على الناس وقال : « من أحب أن ينظر إلى رجل كان فى نصرة الله ورسوله فلينظر إلى عمير بن عدى » . فقال عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — : « انظروا إلى هذا الأعمى الذى بات فى طاعة الله ورسوله ! ! فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — : « مه ياعمر فإنه بصير » وسماه بالبصير لما رأى من كمال إيمانه وثبات جنانه .

٣ — سرية سالم لقتل أبى عفك :

وفى شهر شوال من السنة الثانية — أيضاً — قتل سالم بن عمير الأنصارى ، أبا عفك اليهودى ، وكان ب قتله له أن أباعفك هذا كان يحمل الناس على حرب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان يهجو المسلمين بأشعاره .

فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — لأصحابه : « من لى بهذا الخبيث » ؟ فقال سالم بن عمير — وهو ممن شهد بدرا : « على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه » . ثم أخذ سالم يتحين الفرصة للقضاء عليه ، حتى كانت ليلة من ليالى الصيف الحارة ، وعلم سالم أن أبا عفك ينام فى فناء داره ، فأسرع إليه واقتحم عليه داره ووضع السيف فى صدره حتى نفذ فى فراشه ، فصاح أبو عفك صيحة شديدة فأقبل عليه أهله ومن هم على شاكلته فى الكفر والنفاق ، فأدخلوه منزله ميتاً ، وعاد سالم إلى بيته بعد أن وفى بنذره ، فأهلك من حارب الله ورسوله .

هذا وفى هذه السنة الثانية قاد النبي — صلى الله عليه وسلم — أصحابه فى الغزوات الآتية :

١ — غزوة ودان[1] ، وكانت فى الثانى عشر من شهر صفر .

٢ — وغزوة البوط[2] ، وكانت فى شهر ربيع الأول .

٣ — وغزوة العُشَيرة وكانت فى جمادى الأولى .

٤ — وغزوة بدر الأولى وكانت بعد غزوة العشيرة بحوالى عشرة أيام .

٥ — وغزوة بدر الكبرى وكانت فى السابع عشر من رمضان .

٦ — وغزوة بنى قينقاع وكانت فى منتصف شهر شوال .

٧ — وغزوة السويق وكانت فى أوائل شهر ذى الحجة .

* * *

(١) ودان : اسم قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الأبواء ستة أميال .

(٢) البواط : اسم جبل من جبال جهينة بقرب ينبع على أربعة برد من المدينة .

سرايا السنة الثالثة

١ - سرية قتل كعب بن الأشرف :

ثم أقبلت السنة الثالثة، وفيها تم القضاء على كعب بن الأشرف، لأنه كان من الذين أعلنوا بغضهم وعداوتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - منذ وصوله إلى المدينة مهاجرا .

يدل على ذلك ما جاء فى شرح المواهب : « من أن ابن الأشرف كان طويلا جسيما ذا بطن وهامة ، شاعراً مجيداً ، ساد يهود الحجاز بكثرة ماله ، فكان يعطى أحبار يهود ويصلهم ، فلما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، جاءه أحبار اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة لأخذ صلته على عادتهم فقال لهم : ما عندكم من أمر هذا الرجل ؟ قالوا : هو الذى كنا ننتظر ما أنكرنا من نعوته شيئا ، فقال لهم : قد حرمتم كثيراً من الخير ، ارجعوا إلى أهليكم فإن الحقوق فى مالى كثيرة فرجعوا عنه خائبين ، ثم رجعوا إليه فقالوا له : إنا تعجلنا فيما أخبرناك به أولا ولما استوثقنا علمنا أننا

أخطأنا وليس هو النبي المنتظر ، فرضى عنهم ووصلهم ، وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئاً من ماله . . . »[1] اهـ .

وعندما انتصر المسلمون فى بدر على قريش . فزع يهود المدينة وكبتوا لهذا النصر فقد كانوا يؤملون أن تدور الدائرة على المسلمين فى هذه المعركة ليتخلصوا منهم . فتعود إليهم زعامتهم الدينية ، ومكاسبهم التجارية والاقتصادية . وكان على رأس اليهود الذين أحزنهم هذا الانتصار وأذهلهم كعب بن الأشرف .

قال الشيخ الزرقانى ـ رحمه الله ـ : « كان كعب بن الأشرف قد عاهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل ألا يعين عليه أحداً ، فنقض العهد ، وسب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسب أصحابه ، وكان من عداوته أنه لما قدم البشيران ـ زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحه ـ بقتل من قُتِل من قريش ببدر ، وأسر من أسر منهم قال كعب : أحق هذا ؟ أترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ، فلما أيقن الخبر ورأى

(١) شرح المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٨ للزرقانى .

الأسرى مقرنين كبت وذل وخرج إلى قريش يبكى قتلاهم، ويحرضهم على قتال النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم . . »[1] ا.هـ.

وقد نصح الناصحون كعب بن الأشراف ، أن يكف أذاه عن المسلمين ، ولـكنه تمادى فى طغيانه وغدره ، وأبى أن ينزع عن كيده وفجوره ، فأهدر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دمه .

وقد ساق الإمام البخارى قصة مقتل كعب بن الأشرف فقال : « حدثنا على بن المديني، حدثنا سفيان بن عيينة ، قال عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبدالله يقول ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من لـكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فقام محمد ابن مسلمة ، فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله قال نعم ؟ قال : فأذن لى أن أقول شيئاً ، قال : قل ، فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقة ، وأنه قد عنانا ، وأنى قد أتيتك أستسلفك قال : وأيضاً والله لتملنه ، قال إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى تنظر إلى أى شىء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين

(١) شرح المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٨ للزرقانى .

فقال كعب نعم : ارهنونى ، قالوا أى شىء تريد ؟ قال ارهنونى نساءكم ؟ قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : فارهنونى أبناءكم ، قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمة – أى السلاح – فواعده أن يأتيه فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة – وهو أخو كعب من الرضاعة – فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال إنما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة وقال غير عمرو : فقالت له أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم ، قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ، ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب ، قال : ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين قيل لسفيان سماهم عمرو ، قال الحارث بن أوس ، وعباد بن بشر ، قال عمرو فقال محمد بن مسلمة : إذا ما جاء فإنى قائل – أى جاذب بشعره – فأشمه فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه ، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب فقال : ما رأيت كاليوم ريحاً أطيب . . وقال غير عمرو : قال عندى أعطر نساء العرب وأكمل العرب ، فقال أى محمد بن مسلمة : أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه . ثم قال : أتأذن لى ؟

قال : نعم فلما استمكن منه ، قال : دونكم فاقتلوه ، فقتلوه ثم أتوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبروه »[1].

وقد ساق ابن اسحاق وابن كثير قصة مقتل كعب بن الأشرف بصورة أوسع فقال ما ملخصه : « كان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب بدر وتيقن عدو الله بن الأشرف الخبر . خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أبي العاص ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينشد الأشعار ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا في بدر ، فقال قصيدة منها قوله :

طحنت رحا بدر لمهلك أهله
ولمثل بدر تستهل وتدمع[2]

قتلت سراة الناس حول حياضهم
لا تبعدوا إن الملوك تصرع[3]

(١) عمدة القارىء شرح صحيح البخاري للعيني : (باب مقتل كعب بن الأشرف) جـ ٧ ص ١٣١ طبعة منير الدمشقي . وأخرجه مسلم في « كتاب الجهاد » باب مقتل كعب بن الأشرف جـ٣ ص ١٤٢٥ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) رحا الحرب : مجتمع القتال . وتستهل : تسيل بالدمع . يقال : استهل المطر والدمع إذا سالا .

(٣) سراة الناس : خيارهم وأشرافهم .

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لابن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة - أخو بنى عبد الأشهل - أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله، قال فافعل إن قدرت على ذلك فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاه، فقال له: لم تركت الطعام والشراب. فقال يا رسول الله، قولا لا أدرى هل أفين لك به أم لا؟ فقال: إنما عليك الجهد فقال يا رسول الله إنه لا بد لنا من أن نقول: قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك، فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة، وسلكان بن سلامة - وهو أبو نائلة - وكان أخاً لكعب من الرضاعة - وعباد بن بشر، والحارث بن أوس، وأبو عبس بن جبر ثم قدموا إلى عدو الله كعب قبل أن يأتوه (سلكان بن سلامة)، فجاءه، فتحدث معه ساعة، وتناشدا شعرا، ثم قال له أبو نائلة ويحك يابن الأشرف!! إنى جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى، قال: افعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة.. فقال كعب بن الأشرف: أما والله لقد أخبرتك

يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول فقال له سلكان إنى أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك . . فقال : أترهنونى أبناءكم قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معى أصحابا لى على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ونرهنك من الحلقة ـ أى من السلاح ـ ما فيه وفاء . . . فقبل كعب وقال : إن فى الحلقة لوفاء ، فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ثم ثم رجع ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيته .

وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصن كعب فهتف به أبو نائلة فوثب فى ملحفة فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : إنك امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة فقال لها : لو يدعى الفتى لطاعنة لأجاب وبعد أن تماشى معهم ساعة وعاد لمثلها ، فلما استمكن منه قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت سيوفهم فلم تغن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولا ـ أى سكينا ـ فى سيفى حين رأيت أسيافنا لا تغنى شيئاً فأخذته ، فوضعته فى ثنته ـ أى

ما بين سرته وعانته ـ ثم تحاملت عليه فوقع عدو الله ، وصاح صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار . . ثم أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بقتله . وأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بالمدينة يهودى إلا ويخاف على نفسه »[1] ملخصا .

هذه هى قصة مقتل كعب بن الأشرف كما وردت فى صحيح البخارى وفى كتب السيرة المعتمدة ، وقد زعم بعض المستشرقين ومن فى قلوبهم مرض أن مقتل كعب بن الأشرف كان غدراً وخيانة له ، ونحن ندفع هذه التهمة بما يأتى :

أولا : كعب بن الأشرف كان قد عاهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ألا يعين عليه أحدا ، ولكنه نقض عهده ، فقد رحل إلى قريش بعد هزيمتهم فى بدر ورثى قتلاهم وحرضهم على قتال النبي (صلى الله عليه وسلم) وفضل دين الجاهلية على دين الإسلام وجاهر بعداوته للمسلمين .

وقد جاءت أحاديث متعددة تفيد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أذن فى قتل كعب ابن الأشرف إلا بعد أن نقض العهد وأمعن فى إيذاء المسلمين ومن هذه الأحاديث ما رواه ابن أبى

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٦ وسيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١٢١ .

أويس عن إبراهيم بن جعفر بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جابر : ابن عبد الله أن كعب بن الأشرف عاهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا يعين عليه ولا يقاتله ثم نقض عهده ولحق بمكة ، ثم قدم المدينة معلنا معاداة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان أول غدره هجاءه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فندب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى قتله(١).

وقد جاء اليهود إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد قتل كعب بن الأشرف فقالوا له يا محمد : قد طرق ـ أى قتل ـ صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا ، قتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنه آذانا ، وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف(٢).

ثانياً : كعب بن الأشرف بإيذائه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهجائه أصبح مهدر الدم ، ولا يعصم دمه بأمان ولا عهد .

وقد عقد الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فصلا ضافياً لتحقيق هذه المسألة فقال ما ملخصه :

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٧١ لابن تيمية .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٧١ لابن تيمية .

« الحديث الثالث[1] ، ما احتج به الشافعي على أن الذمي إذا سب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتل وبرئت منه الذمة ـ وهو قصة كعب بن الأشرف اليهودي .

قال الخطابي : قال الشافعي : يقتل الذمي إذا سب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتبرأ منه الذمة واحتج في ذلك بخبر ابن الأشرف ، وقال الشافعي في الأم : لم يكن بحضرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا قرية مشرك من أهل الكتاب إلا يهود المدينة وكانوا حلفاء الأنصار ، ولم تكن الأنصار أجمعت أول ما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إسلاما ، فوادعت يهود رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما كانت وقعة بدر أظهر بعض اليهود عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ـ وحرضوا على قتاله ، فقتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فعل ذلك منهم .

قال ابن تيمية : ومعلوم أنه إنما أراد بهذا الكلام كعب بن الأشرف وقصته مشهورة مستفيضة . ثم قال : والاستدلال بقتل كعب بن الأشرف لسبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم من وجهين .

---

(١) ذكر ابن تيمية قبل ذلك حديثين استدل بهما على أن من سب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقتل وهذا هو الحديث الثالث .

الأول : إنه كان معاهداً مهادنا ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم بالمغازى والسير ، وهو عندهم من العلم العام الذى يستغنى فيه عن نقل الخاصة وكعب بن الأشرف بسببه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصبح ناقضاً للعهد : والدليل على أنه أصبح ناقضاً للعهد بسببه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما جاء فى الحديث الشريف « من لكعب ابن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله » ؟ ... لأن هذا القول يدل على أن أذى الله ورسوله علة لندب المسلمين إلى قتل من يفعل ذلك من المعاهدين .

الثانى : إن النفر الخمسة الذين قتلوه من المسلمين : محمد بن مسلمة ، وأبا نائلة ، وعباد بن بشر ، والحارث بن أوس . وأبا عبس ابن جبر . قد أذن لهم النبى ﷺ أن يغتالوه ويخدعوه بكلام يظهرون به أنهم قد آمنوه ووافقوه ثم يقتلوه . . . وهم عندما قتلوه إنما فعلوا ذلك من أجل هجائه للرسول ﷺ ومن حل قتله بهذا الوجه لم يعصم دمه بأمان ولا عهد . كما لو آمن المسلم من وجب قتله لأجل قطعه الطريق . أو آمن من وجب قتله لأجل الزنا أو لأجل ترك أركان الإسلام ونحو ذلك ولا يجوز له أن يعقد له عهد سواء

كان عقد أمان أو عقد هدنة أو عقد ذمة . لأن قتله حد من الحدود وليس قتله لمجرد كونه كافراً حربياً .

ثم قال ابن تيمية : وقد عرضت لبعض السفهاء شبهة فى قتل كعب بن الأشرف بأن دم مثل هذا يعصم بذمة متقدمة أو بظاهر أمان .

فقد قال الواقدى : « حدثنى إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : قال : قال مروان بن الحكم وهو على المدينة وعنده ابن يامين النضرى كيف كان قتل كعب بن الأشرف ؟ فقال ابن يامين كان غدراً ، ومحمد بن مسلمة جالس شيخ كبير ، فقال : يا مروان أيغدر رسول الله ﷺ عندك ؟ والله ما قتلناه إلا بأمره والله لا يؤوينى وإياك سقف بيت إلا المسجد ، وأما أنت يابن يامين فلله على إن أفلت وقدرت عليك وفى يدى سيف إلا ضربتك به على رأسك ، فكان ابن يامين لا ينزل من بنى قريظة حتى يبعث له رسولا ينظر محمد بن مسلمة فإن كان فى بعض ضياعه نزل فقضى حاجته ثم رجع ، وإلا لم ينزل ، فبينا محمد فى جنازة وابن يامين فى البقيع فرأى محمداً يغشى عليه جرائد يظنه لا يراه فعاجله ، فقام إليه الناس فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ما تصنع ؟ نحن نكفيك فقام إليه فلم يزل يضربه

بجريدة حتى كسر الجريد على وجهه ورأسه . ثم قال : والله لو قدرت على السيف لضربتك به »[1] اهـ ملخصاً .

ثالثاً : كعب بن الأشرف بتماديه فى طغيانه ، وإيذائه للمسلمين وتأليبه أعداءهم من قريش على حربهم بعد هزيمتهم فى بدر صار عدوا للمسلمين ومهدداً لأمن المدينة وسلامتها ، فأصبح من حق المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم ، وأن يبتدروه بالهجوم والعقاب بعد تفاقم شره ونقض عهده وأعرض عن النصيحة ولو أن المسلمين تركوه يسرح ويمرح ويتطاول ويفسد فى الأرض . لتعرضت هيبتهم للضياع ودينهم للاستهزاء والسخرية ، ودولتهم للاضطراب وإثارة الفتنة ، ولطمع فيهم من لا يرقب فى مؤمن إلا ولا ذمة .

ولهذه الأسباب نرى أن كعب بن الأشرف هو الذى جنى على نفسه بإيذائه النبي ﷺ والمسلمين ، وأنه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه لما أصابه شر ، ونرى أن قتله كان عقاباً عادلا بعد أن نقض عهده وأعرض عن النصيحة ، وجاهر بعداوته المسلمين وسب النبي ﷺ .

---

(١) ه من كتاب (الصارم المسلول على ساب الرسول) ـ صلى الله عليه وسلم ـ ص ٩٠ للامام ابن تيمية .

وكان مقتل كعب بن الأشرف فى رمضان من السنة الثالثة بعد الهجرة ، وقيل كان فى شهر ربيع الأول من نفس السنة .

هذا ، وقد أهدر النبى ﷺ بعد غزوة بدر دم كل من كان على شاكلة كعب بن الأشرف فى عدائه للمسلمين ، ومن الذين أهدرت دماؤهم « أبو عفك اليهودى » لأنه كان يرسل الأشعار فى هجاء النبي — صلى الله عليه وسلم — والمسلمين ، ولأنه كان يحرض الناس على حرب الإسلام وأتباعه ، وقد تولى قتله « سالم ابن عمير العمرى » فى شهر شوال على رأس عشرين شهراً من هجرة النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى المدينة .

ووثب كذلك محيصة بن مسعود على تاجر يهودى يقال له ابن سنينة ، كان يؤذى المسلمين فقتله ، فقال حويصة بن مسعود — وكان لم يسلم بعد — لأخيه محيصة — وكان قد أسلم — أى عدو الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله ؟ فقال محيصة والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك !! فقال حويصة : آلله لو أمرك محمد — صلى الله عليه وسلم — بقتلى لقتلتنى ؟ قال نعم ، قال حويصة : والله إن دينا بلغ بك هذا العجب ثم أسلم[1]

(١) (السيرة النبوية) جـ ٣ ص ١٠٦ لابن كثير طبعة الحلبي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد .

وهكذا تعقب المسلمون بالقتل والإرهاب بعد معركة بدر ، كل غادر بعهده ، مجاهر بحرب الله ورسوله ، مؤيد لقريش ودينها ، مظهر للعطف والأسف على ما أصابها ، وذلك ليتفرغوا لقاء أعدائهم وليطهروا المدينة من (الطابور الخامس) الذي يعرف مواطن الضعف والقوة فيهم ، فيبلغها إلى أعدائهم ، لأنهم لو لم يفعلوا ذلك لا استطاع هؤلاء المرجفون في المدينة ، والمؤذون المسلمين إثارة الاضطراب والقلاقل في حالتي السلم والحرب ، ولكن بالقضاء عليهم ، عادت للمسلمين هيبتهم وطمأنينتهم وأصبحوا هم أصحاب الكلمة العليا في مدينتهم .

٢ — « سرية زيد إلى القَرْدَة »(١) .

ترامت الأخبار إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — بأن قريشاً قد أرسلت تجارة إلى الشام عن طريق العراق ، بعد أن أغلق المسلمون في وجوههم طريق المدينة ، وبعد أن تم للمسلمين النصر عليهم في غزوة بدر .

وقد انتدب المشركون لحماية تلك التجارة الواسعة جمعاً من زعماء

(١) القردة : بالقاف المفتوحة وسكون الراء ، اسم موضع من أرض نجد بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق . وقيل اسم ماء من مياه نجد .

مكة . منهم : أبو سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وحويطب ابن عبد العزى وغيرهم . وكان معهم مال كثير وأوان من الفضة .

وكان أبو سفيان ومن معه قد استأجروا « فرات بن حيان العجلي » لكي يرشدهم إلى طريق يأمنون فيه جانب المسلمين ، فسار بهم « فرات » على ذات عرق من ناحية العراق . وعندما تيقن النبي — صلى الله عليه وسلم — من صدق هذه الأخبار ، استقر رأيه على أن يرسل سرية من أصحابه لمراقبة تجارة قريش واغتنامها .

وقد اختار — صلى الله عليه وسلم — لهذه المهمة مائة من أصحابه بقيادة زيد بن حارثة وقد قامت هذه السرية بوظيفتها خير قيام ، فقد التقت بتجارة قريش هذه بالقردة من ناحية نجد ، فمزقت شمل رجالها ، وأجبرتهم على الفرار ، ثم عادت بالتجارة إلى المدينة ، فخمسها النبي — صلى الله عليه وسلم — فبلغ الخمس فيها عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقي على أهل السرية .

وأسر المسلمون (فرات بن حيان) الذي كان يدل المشركين على الطريق ، فلما وقف بين يدي النبي — صلى الله عليه وسلم — قال له : « إن تسلم نتركك » فأسلم فتركه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد هجا حسان بن ثابت قريشاً لسلوكها ذلك الطريق فقال[1] .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٣٠ .

دعوا فَلجات الشام قد حال دونَها

جِلادٌ كأفواه المخاضِ الأوارِكِ[1]

بأيدى رجالٍ هاجروا نحو ربهم

وأنصارِه حقاً وأيدى الملائكِ

إذا سلكت للغَوْرِ من بطنِ عالج

فقولا لهـا : ليس الطريق هنالكِ[2]

وفى هذه السنة حدثت الغزوات الآتية :

١ — غزوة غطفان وكانت فى شهر ربيع الأول .

٢ — غزوة بحران وكانت فى شهر جمادى الأول .

٣ — غزوة أحد وكانت فى شهر شوال .

٤ — غزوة حمراء[3] الأسد وكانت فى أعقاب غزوة أحد .

---

(١) الفلجات : الأنهار الصغار . والجلاد : المجالدة فى الحرب . والمخاض : الابل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك وهو الشجر الذى يكون منه مواد السواك .

(٢) الغور : المنخفض من الأرض . وبطن عالج : إسم موضع كثير الرمال .

(٣) حمراء الأسـد : إسم موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة طريق مكة .

سرايا السنة الرابعة

١ — سرية أبي سلمة إلى بني أسد :

فى مطلع السنة[1] الرابعة من الهجرة جاء رجل من بنى أسد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم — أن طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسدى ، يحرضان قومهما ومن شايعهما على حرب المسلمين .

فدعا النبى — صلى الله عليه وسلم — أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى فعقد له لواء وجعله أميراً على مائه وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار منهم : أبو عبيدة وسعد بن أبى وقاص وأسيد ابن حضير وأبو نائلة وغيرهم ثم قال له : « اخرج فى هذه السرية فقد استعملتك عليها وسر حتى تأتى أرض بنى أسد فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم » وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً .

فلبى أبو سلمة الأمر وسار إليهم مسرعاً ، واستعمل فى سيره

(١) نور اليقين ص ١٤٥ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضرى .

إليهم الطرق غير المألوفة حتى يفاجئهم فى عقر دارهم دون أن يعلموا به . فلما انتهى إلى أرضهم قسم سريته ثلاثة أقسام ثم شن الغارة على بنى أسد فمزق شملهم ، وأجبرهم على التفرق فى الجبال تاركين إبلهم وغنمهم ، فأخذ ذلك كله أبو سلمة ومن معه بدون قتال يذكر ، وأسر منهم ثلاثة مماليك ، ثم قفل راجعاً إلى المدينة ـ ومعه تلك الغنائم ـ بعد عشرة أيام من خروجه منها .

وكان أبو سلمة ـ رضى الله عنه ـ قد أصيب قبل ذلك بجرح فى عضده خلال اشتراكه فى غزوة أُحد ومكث شهراً يتداوى منه فلما تماثل للشفاء بعثه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أميراً على تلك السرية فلما عاد منها انتكس جرحه فمات بعدها بأيام قليلة .

ولقد تأثر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لموت أبى سلمة تأثراً شديداً ، فقد كان ـ رضى الله عنه ـ من السابقين إلى الإسلام ـ وكان من اللذين هاجرو الهجرتين ، الهجرة إلى الحبشة ، ثم الهجرة إلى المدينة ، وكان فوق ذلك تربطه بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمور مشتركة منها : أن كلا منهما من قريش ، وأنهما قريبان ؛ فأبو سلمة أمه « برة بنت عبد المطلب » عمة النبى ـ صلى الله عليه

وسلم ـ وأنهما قد رضعا معاً من ثدى واحد ، فقد أرضعتهما «ثويبة» مولاة أبى لهب .

وكانت السيدة أم سلمة زوجة الشهيد أبى سلمة ، قد شاركته سراء الحياة وضراءها بوفاء نادر وإيمان عميق وأنجبت منه عدداً من الأولاد فلما فرق بينهما الموت بكته بكاء مراً فكانت تقول غريب مات فى أرض غربة والله لأبكينه بكاء يتحدث الناس عنه . . . » .

ورأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما جبل عليه من مكارم الأخلاق أن يصون هذا البيت الكريم وأن يلقى عليه ألوانا من الرعاية والتكريم فتزوج بالسيدة أم سلمة وضم أولادها إلى بيته وفاء لحق أبيهم الشهيد أبى سلمة ـ رضى الله عنه وأرضاه . .

٢ ـ سرية عبد الله إلى سفيان :

كانت هذه السرية فى الخامس[1] من المحرم من السنة الرابعة ، وسببها أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلغه أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى يقيم بعُرَنة[2] وأنه يجمع الجموع لحرب المسلمين .

(١) من كتاب «نور اليقين» ص١٤٦ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضرى
(٢) عرنة : اسم موضع قريب من عرفات .

فاستدعى النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن أنيس الجهنى فقال له : « إنه قد بلغنى أن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى وهو بنخلة أو بعرنة فأته فاقتله .

قال عبد الله : « فقلت يارسول الله انعته لى حتى أعرفه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان وآية ما بينك وبينه إنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة »[1] أى : خفته وهبته قال عبد الله : وكنت لا أهاب الرجال فقلت يارسول الله ما فرقت من شىء قط . فقال : آية ما بينك وبينه ذلك . قال : فخرجت متوشحا سيفى واستأذنت رسول الله - ﷺ - أن أقول فأذن لى ثم قال لى : « انتسب إلى خزاعة » .

قال عبد الله ، فخرجت أعتزى إلى خزاعة حتى إذا كنت ببطن عرنة لقيته يمشى ووراءه الأحابيش ، وهو فى ظُعُن[2] له يرتاد لهن منزلا فعرفته بنعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له وشعرت بالخوف منه فقلت صدق رسول الله .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ صفحة ٢٦٣

(٢) الظعن جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج ، وقد يقال للمرأة ظعينة وإن لم تكن فى الهودج كما هنا .

قال عبد الله : « وكان وقت العصر قد دخل حين رأيته فخشيت أن تـكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومىء إيماء برأسي فلما انتهيت إليه قال : ممن الرجل ؟ فقلت : رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأ كون معك . قال ، أجل إني لأجمع له .

قال عبد الله ، فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي وأنشدته وقلت عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث « فارق الآباء وسفه أحلامهم ! !

قال : إنه لم يلق أحدا يشبهني ، وهو يتوكأ على عصا يهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه ، وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيفون به . فقال : « هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه : فقال : اجلس .

قال عبد الله ، فجلست معه حتى إذا هدأ الناس وناموا اغترته فقتلته وأخذت رأسه ، ثم خرجت وتركت ظعائنه منكبات عليه فصعدت جبلا ثم دخلت غاراً فيه وأقبل الطلب وأنا مكتمن في الغار وضربت العنكبوت على وأقبل رجل معه إداوة ضخمة ومخلاة في يده وكنت حافياً ، فوضع أدواته ونعله وجلس يبول

قريباً من فم الغار ، ثم قال لأصحابه ، ليس فى الغار أحد فانصرفوا راجعين[1] .

قال عبد الله : « ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفاً من الطلب حتى قدمت المدينة ، فوجدت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المسجد فلما رآنى قال : أفلح الوجه !! قلت : أفلح وجهك يا رسول الله ، ثم وضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبرى .

ثم قام بى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأدخلنى بيته فأعطانى عصا فقال : امسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس .

قال عبد الله : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأمرنى أن أمسكها قالوا : أولا ترجع إلى رسول الله فتسأله عن ذلك ؟ فرجعت إليه فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتنى هذه العصا ؟ فقال — صلى الله عليه وسلم — هى آية — أى علامة — بينى وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتخصرون يومئذ قال ابن اسحاق : « فقرنها عبد الله

---

(١) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ٦٤ .

بسيفه فلم تزل معه حتى إذا حضرته الوفاة ، أوصى أهله أن يدرجوها في كنفه ، فضمت في كفنه ثم دفنا جميعا[1] » .

هذا وقد أورد ابن هشام شعراً لعبد الله بن أنيس يتمدح به لقتله سفيان الهذلى ومنه قوله :

تركت ابنَ ثور كالُحوار وحوله
نوائحِ تفرى كُلَّ جَيْبٍ معدد[2]
تناولته والظعن خلفى وخلفه
بأبيضَ من ماء الحديد مهند[3]
أقول له والسيف يعجم رأسه
أنا ابن أنيس فارسا غيرَ قُعدد[4]
وقلت له خذها بضربة ماجد
حنيف على دين النبى محمد[5]

(١) الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام جـ ٧ ص ٤٨١ .

(٢) الحوار — بزنة غراب — : ولد الناقة إذا كان صغيرا ، وتفرى : تقطع .

(٣) بأبيض يريد سيفا والمهند المنسوب إلى الهند .

(٤) يعجم رأسه : يقطعها والقعدد : اللئيم الجبان .

(٥) الماجد : الشريف والحنيف هنا الذى دخل فى الإسلام وترك الشرك .

وكنت إذا هم النبي بكافر
سبقت إليه باللسان وباليد

وكانت غيبته عن المدينة ثماني عشرة ليلة ، ثم قدم يوم السبت السبع بقين من المحرم .

ثم اشترك عبد الله بعد ذلك فى كثير من الغزوات والسرايا . وكان بجانب ذلك فقهاء من الصحابة الذين رووا الكثير من الأحاديث النبوية وكان من الذين يستسهلون الصعاب فى سبيل طلب العلم ، فلقد حكى لنا التاريخ أنه رحل مسيرة شهر لكى يلقى جابر بن عبد الله الأنصارى فيسأله عن بعض الأحاديث التى سمعها من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حول المظالم والقصاص بين أهل الجنة وأهل النار .

وهكذا كان عبد الله بن أنيس من أشجع الناس فى محاربة أعداء الإسلام ، ومن أحرصهم على أداء تكاليف الإيمان — فرضى الله عنه وأرضاه .

٣ — سرية الرجيع :

كانت هذه السرية فى شهر صفر[١] من السنة الرابعة ومن حديثها أن رهطا من عضل والقارة[٢] قدموا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالوا له يارسول الله : « إن فينا إسلاما فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معهم ستة[٣] من أصحابه ليقوموا بمهمة تفقيههم فى دينهم وتعليمهم شرائع الإسلام وليكونوا فى الوقت نفسه عيوناً على قريش يرصدون تحركاتها المريبة ضد المسلمين وليبلغوها إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — حتى يأخذ حذره.

وهؤلاء الستة هم : مَرْثَد بن أبى مرثد الغنوى وخالد بن البكير الليثى وعاصم بن ثابت بن أبى الأفْلح وخَبيب بن عدى وزيد بن

---

(١) نور اليقين ص ١٤٦ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضرى.

(٢) بطن من قبيلة بنى الهون بن خزيمة.

(٣) هذا ما ذكره بن هشام وغيره وروى ابن سعد أن النبى — صلى الله عليه وسلم — أرسل معهم عشرة رجال إلا أنه ذكر أسماء سبعة منهم فقط.

بن الدثنة وعبد الله بن طارق وأمر عليهم عاصم بن ثابت وقيل : كان أميرهم مرثد بن أبى مرثد .

وخرج عاصم وأصحابه مع القوم فكانوا يسيرون ويكمنون النهار ، حتى إذا كانوا على الرجيع[1] غدروا بهم ، ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلى الذى لقى حتفه على يد عبد الله بن أنيس ، فهرع إليهم ما يقرب من مائتى رام من قبيلة هذيل ، وفوجىء عاصم ورفاقه وهم فى رحالهم بالغادرين يغشونهم وبأيديهم السيوف ، فما كان منهم إلا أن شهروا سيوفهم ولجأوا إلى جبل هناك ليحتموا به .

وهنا قال لهم الغادرون : أنزلوا إلينا ولكم العهد ألا نقتلكم ، فإنا والله ما نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة .

فأما عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبى مرثد ، وخالد بن البكير فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهد أو لا عقدا أبدا ، ثم أنشأ عاصم يقول :

---

(١) الرجيع : اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز كانت المعركة بالقرب منه . وقيل : اسم موضع من بلاد هذيل .

ما علتى وأنا جَلْد نابل والقوس فيها وتر عنابل[1]
تزل عن صفحتها المعابل الموت حق والحياة باطل[2]
وكل ماحتم الإله نازل بالمرء والمرء إليه آيل[3]
إن لم أقاتلكم فأمى هابل[4]

وما زال الثلاثة يقاتلون حتى قتلوا .

قال ابن هشام : « فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت — حين أصاب ابنيها يوم أحد — لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر ، فمنعته الدبر[5] ، فلما حالت بينهم وبينه الدبر قالوا : دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه . فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا

(١) النابل : صاحب النبل القوى الشديد . عنابل : غليظ شديد .
(٢) المعابل : النصل العريض الطويل .
(٣) وكل ما حم الإله : أى ما قدره الله ـ تعالى ـ مقادير : وآئل : اسم فاعل من آل الشىء يؤول بمعنى رجع .
(٤) هابل : فاقد وثاكل . تقول : هبلته أمه أى ثكلته وفقدته فهو يدعو على نفسه بالموت إن تراجع ولم يقاتلهم .
(٥) الدبر : بفتح الدال وسكون الباء ـ اسم لجماعة النحل .

أبدا تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول حين بلغه أن الدبر قد منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبداً فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته »[1].

وأما زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق فأسرهم المشركون . ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، فلما وصلوا بهم إلى مر الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القيد الذى كان مربوطاً به ، ثم أخذ سيفه وجعل يقاتل القوم ، فاستأخروا عنه ورموه بالحجارة حتى قتلوه .

ثم قدم الغادرون إلى مكة بخبيب وزيد ، فأما زيد فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، ثم بعث صفوان بزيد إلى التنعيم ليقتله خارج مكة، واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان ابن حرب لكى يشهدوا مقتل زيد .

وعندما قدم زيد للقتل قال له أبو سفيان : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك؟

---

(١) سيرة ابن هشام - جـ ٣ ص ١٦٣ .

فقال زيد : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى .

فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .

وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

أسرت قريش مسلماً فى غـزوة
فمضى بلا وجـل إلى السياف
سألوه هل يرضيك أنك سالم
ولك النبى فدى من الإتلاف
فأجاب كلا لا سلمت من الردى
ويصـاب أنف محمـد برعاف

ثم قدم زيد للقتل ، فقتله نسطاس مولى صفوان بن أمية .

وأما خبيب بن عدى فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل ليقتلوه فى رجل منهم ، وحبسوه فى بيت امرأة تدعى ماوية ، فكانت تقول — بعد أن أسلمت — « كان خبيب عندى حبس فى بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوماً وأن فى يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل

يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنباً يؤكل »[1].

وكان خبيب قد قال لزوج تلك المرأة التى حبس فى بيتها : أطلب إليك ثلاثا أن تسقيني العذب ، وأن تجنبني ما ذبح على النصب ، وأن تخبرني إذا أرادوا قتلى .

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي نجيح أنها أى ماوية — قالت : قال لى خبيب حين حضره القتل : ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاماً من الحى الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فو الله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلا برجل . فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ثم خلى سبيله[2] .

وعندما أراد المشركون قتل خبيب ، خرجوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، فقال لهم : إن رأيتم أن تتركونى حتى أركع ركعتين فافعلوا . فقالوا له دونك فاركع فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل عليهم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص ٦٥ طبيعة بيروت .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٦٥ .

فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .

فكان خبيب — رضى الله عنه — أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . وعندما قيدوه ورفعوه على خشبة ليقتلوه تضرع إلى الله وقال : « اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا . ثم قتل — رضى الله عنه — .

ولقد كان لمقتل خبيب بهذه الصورة أثره الشديد فى نفوس الذين شهدوه ، فهذا سعيد بن عامر الجمحى كان والياً على بعض بلاد الشام فى عهد عمر بن الخطاب ، فكانت تصيبه غشية وهو فى مجلسه مع القوم . فذكر ذلك لعمر ، فسأله عمر — رضى الله عنه — عن ذلك . فقال سعيد : يا أمير المؤمنين والله ما بى من بأس ، ولكنى كنت — قبل أن أسلم — فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غشى على .

وقال الإمام ابن كثير : وقد روى البيهقى من طريق إبراهيم بن

إسماعيل قال : حدثني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان قد بعثه عينا وحده ، قال: فجئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته فوقع على الأرض ، فانتبذت قليلا ثم التفت فلم أر شيئاً فكأنما بلعته الأرض فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة[1] » .

وينسب إلى خبيب أنه عندما بلغه أن المشركين قد أجمعوا على صلبه أنشد شعراً منه قوله :

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا
قبائلهم ، واستجمعوا كل مجمع[2]
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى
وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى[3]

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٦٧ .

(٢) ألبوا قبائلهم : جمعوها .

(٣) أرصد أعد وهيأ . ومصرعى : المكان الذى أقتل فيه .

فذا العرش صبرنى على يراد بى

فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمعى[1]

وقد خيرونى الكفر والموت دونه

وقد هملت عيناى من غير مجزع[2]

ومابى حذار الموت أنى لميت

ولكن حذارى جحم نار ملفع[3]

ولست أبالى حين أقتل مسلما

على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع[4]

وهكذا لقى هؤلاء الشهداء مصارعهم على أيدى الغادرين، بعد أن بلغوا رسالات الله دون أن يخشوا أحدا سواه، فرضى الله عنهم وأرضاهم.

---

(١) بضعوا لحمى : قطعوه : وياسمطمعى : لا طمع لدى فى شىء من الحياة .

(٢) المجزع : مصدر ميمى بمعنى الجزع .

(٣) الجحم : الملتهب . والملفع : المشتمل .

(٤) الأوصال : المفاصل . والشلو ـ بكسر الشين وسكون اللام ـ البقية من الشىء .

٤ — «سرية المنذر (بئر معونة)»:

وبعد فترة وجيزة من خروج عاصم وأصحابه مع رهط عضل والقارة، قدم على النبي — صلى الله عليه وسلم — عامر بن مالك أبو براء الملقب بملاعب الأسنة ، فعرض عليه النبي — صلى الله عليه وسلم — الإسلام فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام وقال : يامحمد ، لو بعثت معي نفـرا من أصحابك إلى قومى أهل نجد لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك .

فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — « إنى أخشى عليهم أهل نجد » .

فقال عامر : أنالهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فبعث معه النبى — صلى الله عليه وسلم — سبعين رجلا من خيار المسلمين ، كانوا يسمون القراء لـكثرة ما يحفظون من القرآن ـ وجعل أميرهم المنذر بن عمرو الساعدى .

وكان من بينهم الحـارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسمـاء ، ونافع بن بديل الخزاعى ، وعامر بن فهيرة . وغيرهم . . .

وسار المنذر ورفاقه حتى نزلوا ببئر معونة[1] ، فعسكروا بها ، ثم بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى عامر بن الطفيل — زعيم بنيعامر — ، فلما قدم إليه حرام ابن ملحان الكتاب لم ينظر فيه بل وثب عليه فقتله ، ثم أخذ يحرض قومه عامر على قتال المنذر ورفاقه ولكنهم أبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا له : لن ننقض عهد عامر ابن مالك بعد أن عقد لهم عقدا وجوارا .

فترك عامر بن الطفيل قومه ولجأ إلى قبائل بنى سليم ورعل وذكوان وعصية فأخذ يحثهم على قتال المنذر ومن معه من المسلمين فأجابوه إلى طلبه ، وهبوا معه لقتالهم ، فلما وصلوا إليهم أحاطوا بهم فى رحالهم ، فما كان من المنذر ومن معه إلا أن استلوا سيوفهم وأخذوا يقاتلون تلك الجموع الغادرة وهم يقولون : اللهم إنا لانجد من يبلغ رسولك منا السلام غيرك فاقرئه منا السلام . فأخبر جبريل النبي بذلك ، فقال — صلى الله عليه وسلم — وعليهم السلام.

---

(١) بئر معونة : اسم ماء من مياه بنىسليم — شرق المدينة — بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم .

وما زال المنذر وأصحابه يقاتلون تلك القبائل الغادرة بشجاعة وصبر حتى استشهدوا فى سبيل دينهم وعقيدتهم .

وقد استطاع المنذر بن عمرو قائد المسلمين فى هذه السرية أن يقاتل الغادرين بجرأة وإقدام حتى سقط رفاقه جميعا من حوله ، فقال له بعض المشركين : إن شئت آمناك فأبى منهم ذلك ، وأخذ يقاتلهم حتى قتل ، فلما بلغ النبي — صلى الله عليه وسلم — خبره قال : « أعنقَ[1] ليموت » أى : أسرع إلى الموت بقوة وإقدام وهو يوقن أنه ميت .

قال ابن اسحاق : وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم ما زالت واقفة ، فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله — صلى الله عليه وسلم — فنخبره الخبر . فقال الأنصارى لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه

(١) أعنق : أى سار العنق ، والعنق — بفتح العين والنون — السير السريع .

المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قتل »[1] .

أما عمرو بن أمية فإنه أسره المشركون ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

وعند عودة عمرو إلى المدينة التقى فى طريقه برجلين فسألهما ممن أنتما ؟ فقالا من بنى عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما قتلهما ليشفى بعض غله من بنى عامر الذين غدر زعيمهم بالمنذر وأصحابه .

ولكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — عندما علم منه ذلك بعد عودته إلى المدينة قال له عمرو « بئس ما صنعت لقد قتلت قتيلين لأدينهما فقد كان لهما منى أمان وجوار وبعث بديتهما إلى قومهما ثم قال : « هذا عمل أبو براء عامر بن مالك قد كنت لهذا كارها متخوفا » فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه ذلك ، وحزن لما أصاب المسلمين بسببه وفى جواره .

وكان من بين شهداء هذه المعركة عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — قتله رجل يدعى جبار بن سلمى ،

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٦ .

وكان يقول — بعد أن أسلم — : إن مما دعانى إلى الإسلام إنى طعنت رجلا من المسلمين فى هذه المعركة بالرمح بين كتفيه ، ثم نظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول : فزت ورب الكعبة . فقلت فى نفسى : مافاز ، ألست قد قتلت الرّجل ؟ !

ثم نظرت إلى جسده فوجدته قد رفع إلى السماء . وكان هذا الرجل هو عامر بن فهيرة — رضى الله عنه — .

وعندما علم النبى — صلى الله عليه وسلم — بذلك قال : « إن الملائكة وارت جثته وأنزل فى عليين » .

ولقد حزن النبي — صلى الله عليه وسلم — حزنا شديدا على شهداء الرجيع وشهداء بئر معونة ، واستمر فترة طويلة يدعو على الذين قتلوهم فى صلاة الصبح . فيقول : « اللهم أشدد وطأتك على مضر . اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف . اللهم عليك ببنى لحيان وعضل ، والقارة ، ورعل ، وذكوان ، وعصية فإنهم عصوا الله ورسوله » .

وفى هذه السنة حدثت الغزوات الآتية :

١ — غزوة بنى النضير وكانت فى شهر ربيع الأول .

٢ — غزوة ذات الرقاع وكانت فى شهر ربيع الثانى .

٣ — وغزوة بدر الآخرة وكانت فى شعبان .

سرايا السنة السادسة من الهجرة

١ — سرية محمد بن مسلمة إلى بني بكر :

كانت السنة الخامسة من الهجرة خالية تقريباً من السرايا ، فلم يذكر لنا المحققون من المؤرخين شيئاً من ذلك ، وإنما الذى ذكروه لنا أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قد قاد أصحابه فى أربع غزوات خلالها وهى : غزوة دومة الجندل[1] ، وكانت فى شهر ربيع الأول وغزوة بنى المصطلق وكانت فى شهر شعبان ، وغزوة الخندق وغزوة بنى قريظة ، وكانتا فى أواخر السنة الخامسة . ثم أقبلت بعد ذلك السنة السادسة التى تعتبر بحق أحفل سنة بالسرايا والبعوث الحربية .

ففى اليوم العاشر من المحرم أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - محمد بن مسلمة فى ثلاثين راكباً من أصحابه لشن الغارة على بطن من بنى بكر بن كلاب الذين كانوا ينزلون البكرات بناحية ضَرِيّة[2] .

(١) دومة الجندل : مدينة بينها وبين دمشق خمس ليالى ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

(٢) ضرية : أسم موضع على بعد سبع ليالى من المدينة فى طريق البصرة.

فمشى إليهم محمد بن مسلمة ومن معه ، وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار ، وعندما انتهوا إلى ديار بنى بكر أغاروا عليهم فقتلوا عشرة منهم ، وولى الباقون الأدبار فاستاق المسلمون نعمهم وشاءهم ولم يتعرضوا لنسائهم ، ثم رجعوا إلى المدينة بعد تسع عشرة ليلة من خروجهم منها .

وقد بلغ ما غنمته هذه السرية من بنى بكر مائة وخمسون من الإبل ، وثلاثة آلاف رأس من الغنم ، فقسمها النبي — صلى الله عليه وسلم — على مستحقيها .

وقد التقى محمد بن مسلمة ورفاقه عند عودتهم إلى المدينة برجل من زعماء بنى حنيفة وهو ثمامة بن أثال الحنفى فأسروه وهم لا يعرفونه فلما قدموا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم — عرفه وعامله بما طبع عليه من مكارم الأخلاق ، فقد أطلق أساره بعد ثلاثة أيام عرض عليه فيها الإسلام .

ولما رأى ثمامة تلك المعاملة الكريمة من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عاد اليه وأعلن إسلامه عن طواعية واختيار ، وخاطبه بقوله : « يا رسول الله ، والله ما كان على وجه الأرض من وجه أبغض إلى من وجهك ، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها

إلى قلبي . وما كان على وجه الأرض من دين أبغض إلى من دينك ، وقد أصبح دينك أحب الأديان إلى ، وما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، وقد أصبح بلدك أحب البلاد إلى » .

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة أن ثمامة الحنفى أسر وكان النبي — صلى الله عليه وسلم — يغدو اليه فيقول له : « ما عندك يا ثمامة ؟ فيقول : إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تمنن على شاكر ، وإن ترد المال نعطك منه ما شئت وكان أصحاب النبي — صلى الله عليه وسلم — يحبون الفداء ويقولون : ما نصنع بقتل هذا ؟ فمر عليه النبي — صلى الله عليه وسلم — يوماً فأسلم فحله وبعث به إلى حائط أبى طلحة وأمره أن يغتسل فاغتسل وصلى ركعتين . فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — : « لقد حسن إسلام أخيكم » .

ولقد سر النبي — صلى الله عليه وسلم — باسلام هذا الرجل ، لأن إسلامه كان سبباً فى إسلام عدد كبير من قومه .

وعندما عزم على العودة إلى بلاده مر بمكة معتمراً مظهراً إسلامه ، فأراد مشركو مكة أن يؤذوه ولكنهم تركوه لاحتياجهم إلى حبوب اليمامة التى يعتبر ثمامة من أبرز زعمائها ، ومع ذلك فقد

أقسم ثمامة ألا يرسل إليهم شيئاً من حبوب اليمامة حتى يسلموا.

وأرسل المشركون إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يتوسلون إليه أن يأمر ثمامة ألا يقطع حبوب اليمامة عنهم فقد أجهدهم القحط، فاستجاب — صلى الله عليه وسلم — لرجائهم وأمر ثمامة أن يعيد عليهم ما كان يرسله إليهم من حبوب اليمامة، ففعل.

ولقد كان لهذا الرجل الكريم المعدن أثر عظيم فى تثبيت قواعد الإسلام فى بلاده بعد وفاة الرسول — صلى الله عليه وسلم — ومن مظاهر ذلك أنه نهى قومه عن اتباع مسيلمة الكذاب وجعل يقول لهم: إياكم والأمر المظلم الذى لا نور فيه أنه لشقاء كتبه الله على من اتبعه، فأطاعه عدد كبير من قومه، وثبتوا على الإسلام.

٢ — سرية الغمر:

ثم أرسل النبى — صلى الله عليه وسلم — عكاشة بن محصن على رأس أربعين راكباً لكى يغيروا على بنى أسد، لأنهم كانوا يؤذون المسلمين عند مرورهم بهم.

فأسرع عكاشة السير إليهم حتى وصل إلى ماء لهم يقال له الغمر[1]. وعندما أحسوا بقدوم عكاشة إلى منازلهم ولوا هاربين،

(١) على بعد ليلتين من فيد. وهى قلعة بطريق مكة.

ودخل المسلمون ديارهم فوجدوا رجلا نائماً فأمنوه على حياته بشرط أن يدلهم على ماشية القوم ، فدلهم عليها فاستاقوها وكانت زهاء مائتي بعير ، ثم قدموا إلى المدينة دون أن يلقوا حربا من أعدائهم .

وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الأول من السنة السادسة .

٣ — سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القصة :

وفى شهر ربيع الأول — أيضا — من السنة نفسها ، بلغ النبى — صلى الله عليه وسلم — أن أهل ذى القصة(١) ، يريدون الإغارة على ماشية المسلمين التى ترعى بالهيفاء قرب المدينة ، فأرسل إليهم محمد بن مسلمة فى عشرة من المسلمين فورد ديارهم ليلا، فكمن لهم المشركون حينما أحسوا بقدومهم وانتظروا عليهم حتى ناموا ، ثم أحدقوا بهم وكان عددهم يقارب المائة . فلم يشعر المسلمون إلا والنبل قدغشيهم ، فتواثبوا إلى أسلحتهم وأخذوايقاتلون أعداءهم قتالا عنيفا ، ولكن الأعداء تكاثروا عليهم وقتلوهم جميعا سوى محمد بن مسلمة الذى تركوه وبه رمق من حياة بعد أن ظنوه قد مات .

ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة .

(١) ذى القصة : اسم موضع على بعد أربعة وعشرين ميلا من المدينة فى طريق الربذه .

وهنا أرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — أبا عبيدة عامر ابن الجراح ومعه أربعون رجلا لكى يقتص من أهل ذى القصة ، فلما وصل أبو عبيدة وصحبه إلى ديار أعدائهم وجدوهم قد تشتتوا ، فاقتحموا منازلهم وغنموا ما فيها من حيوان ومتاع ثم رجعوا إلى المدينة ، فقسم النبي — صلى الله عليه وسلم — تلك الغنائم على مستحقيها .

٤ — سرية زيد إلى بنى سليم :

وفى شهر ربيع الآخر أرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — زيد بن حارثة فى جمع من أصحابه للإغارة على بنى سليم ، لأنهم كانوا قد انضموا إلى جيوش المشركين فى غزوة الأحزاب ، كما أنهم كانوا يؤذون المسلمين عند مرورهم بديارهم .

فسار إليهم زيد حتى بلغ الجموم[1] ، فلما شارف ديارهم بمن معه وجدهم قد تفرقوا ، ولم يبق سوى عدد قليل منهم ، ووجدوا هناك امرأة من مزينة فدلتهم على محلة من محال بنى سليم ، فأصاب المسلمون

(١) الجموم : اسم موضع على يسار بطن نخل على بعد أربعة أميال من المدينة

من تلك المحلة نعما وشاء ، وأسروا من لقيهم من رجالها ومن بينهم زوج تلك المرأة .

فلما عاد زيد بالأسرى والغنائم إلى المدينة ، وهب النبي — صلى الله عليه وسلم — للمرأة نفسها وزوجها ، وقسم الغنائم على مستحقيها .

٥ — سرية زيد إلى العيص :

وفى شهر جمادى الأولى من هذه السنة ترامت إلى مسامع النبي — صلى الله عليه وسلم — الأخبار بأن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام تريد مكة ، فبعث فى طلبها مائة وسبعين من فرسان المسلمين يقودهم زيد بن حارثة .

وأسرع زيد ومن معه لتلبية ما كلفهم به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وساروا حتى وصلوا إلى العيص[٢] ، وهناك التقوا بعير قريش فأخذوها بما فيها من فضة كثيرة كانت لصفوان بن أمية ، وأسروا ناساً ممن كانوا فى حراستها ، ثم قفلوا راجعين إلى المدينة ومعهم العير والأسرى .

(١) العيص : موضع قرب البحر على أربع ليال من المدينة .

وكان من بين الأسرى أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاستجار أبو العاص بزوجه زينب فأجارته ، ونادت فى الناس حين صلى بهم النبي — صلى الله عليه وسلم — صلاة الفجر بقولها : أيها الناس إنى قد قد أجرت أبا العاص .

وبعد أن انتهى النبي — صلى الله عليه وسلم — من صلاته أقبل على الناس فقال : « أيها الناس هل سمعتم ماسمعت ؟ قالوا : نعم . قال : والذى نفسى بيده ماعلمت بشىء من هذا حتى سمعت ماسمعتم . المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت » . ثم قال : — صلى الله عليه وسلم — لزينب : « أكرمى مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له » وكان النبي — صلى الله عليه وسلم — قد فرق بينها وبينه بسبب شركه .

وعاد أبو العاص بعد ذلك إلى مكة فأدى إلى كل ذى حق حقه ، ثم قال : هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله . والله مامنعنى من الإسلام عنده إلا خوف من أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل

أموالكم ، فلما ردها الله إليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج فقدم المدينة فرد النبي — صلى الله عليه وسلم — إليه زوجته زينب — رضى الله عنها .

٦ — سرية زيد إلى بنى ثعلبة :

ثم أرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — زيد بن حارثة على رأس خمسة عشر رجلا للإغارة على بنى ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد ابن مسلمة ، وكانوا يقيمون بالطرف[1] فتوجه زيد ورفاقه إلى رحالهم وعندما علم بنو ثعلبة بقدومهم فروا من وجوههم ، وتركوا ماشيتهم ومتاعهم فغنمها المسلمون وعادوا إلى المدينة .

وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة السادسة .

قال صاحب المواهب : « وكان شعار المسلمين — فى هذه السرية — أمت أمت ، وهو أمر بالموت ، والمراد التفاؤل بالنصر بعد الأمر الأمانه مع حصول الغرض من الشعار ، فانهم جعلوا هذه الكلمة علامة بينهم يتعارفون بها لأجل ظلمة الليل »[2] .

(١) الطرف : اسم ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة .
(٢) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ١٥٨ .

٧ — « سرية زيد إلى جذام » :

وكان السبب فيها أن رُحية الكلبي — رضى الله عنه — كان قادما من بلاد الروم ، ومعه تجارة له وهدايا أهداها إليه قيصر ملك الروم . فلقيه فى الطريق المنيدى بن عارض وابنه فى ناس من جذام عند جسمى(٢) ، فاستلبوا منه كل شىء كان معه ، فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب وهم رهط رفاعة بن زيد الجذامى فأعادوا لدحيته متاعه ممن انتهبه منه . وكان رفاعة قد أسلم وأخذ من النبي — صلى الله عليه وسلم — كتابا دعا به قومه إلى الإسلام فأسلموا .

وبعد أن عاد رُحية إلى المدينة أخبر النبى ـ صلى الله علية وسلم ـ بما حدث له من المنيد وأشياعه ، فغضب ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل من بينهم دحية ، فكان زيد ومن معه يسيرون الليل ويكمنون النهار ، وكان معهم دليل من بنى عذره لكى يرشدهم إلى أماكن القوم .

ووصل زيد ومن معه إلى ديارهم مع الفجر فشنوا الغارة عليهم ،

---

(١) اسم موضع وراء وادى القرى .

وقتلوا الهنيدى وابنه ، وأخذوا ماشيتهم فبلغت ألفا من الإبل وخمسة آلاف من الغنم وأسروا مائة من النساء والصبيان .

وعلم رفاعة بن زيد الجذامي بذلك فرحل فى نفر من قومه إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فدفع إليه كتابه الذى كتبه له ولقومه عند اسلامه . فقال : صلى الله عليه وسلم — « كيف أصنع بالقتلى » ؟ فقال أبو يزيد بن عمر : أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمى هاتين . فقال -صلى الله عليه وسلم- « صدق أبو يزيد » .

ثم بعث معهم على بن أبي طالب إلى زيد بن حارثة وأمره أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم . فتوجه على إلى زيد فبلغه أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فصاح زيد فى الناس فاجتمعوا إليه فقال لهم : من كان معه شىء من سبي أومال فليرده ، فهذا علىّ رسول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أمرنى بذلك ثم رد إلى بنى جذام كل ما أخذ منهم . وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة السادسة[1] .

---

(١) هذا ماسار عليه كثير من المؤرخين كابن سعد وابن اسحاق وغيرهما ويرى ابن القيم انها كانت بالسنة السابعة .

ـ سرية زيد إلى بنى فزاره :

ثم بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — زيد بن حارثة على رأس عدد من أصحابه لتأديب بنى فزارة ، لأنهم تعرضوا لزيد وهوراجع بتجارة من الشام فسلبواما معه وكادوا يقتلونه . فلما وصل زيد المدينة المدينة أخبر النبي — صلى الله عليه وسلم — بما كان منهم ، فأرسله إليهم ليقتص منهم ، وكانوا يقيمون فى وادى القرى[٢] .

وقد استطاع زيد وصحبه أن ينتصروا على أعدائهم ، وأن يقتلوا عددا كبيرا منهم وأن يأسروا بعض زعمائهم ، وكان من بين الأسرى امرأة ذات منزلة كبيرة فيهم ، وقد استوهبها النبي — صلى الله عليه وسلم — ممن أسرها وافتدى بها أسيرا مسلما كان بمكة وكانت هذه السرية فى شهر رجب ، وقيل إنها كانت فى رمضان .

٩ — سرية دومة الجندل :

وفى شهر شعبان من هذه السنة استدعى النبي — صلى الله عليه وسلم — عبد الرحمن بن عوف ، فأقعده بين يديه ، وعممه

(١) موضع قريب من المدينة على طريق الحاجز من جهة الشام .

بيده ، وبعثه على رأس سبعمائة رجل إلى بنى كلب بدوم
الجندل[1] .

وقد أوصاه النبي — صلي الله عليه وسلم — قبل خروجه من المدينة بقوله . « أغز باسم الله وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا » ثم قال له . « إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم » .

فسار عبد الرحمن بجيشه حتى قدم دومة الجندل ، فمكث ثلاثة أيام يدعو أهلها إلى الإسلام، فأسلم فى اليوم الثالث — رئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبي — وكان نصرانيا — وأسلم معه عدد كبير من قومه ، ومن بقى منهم على دينه أخذت منه الجزية .

ثم تزوج عبد الرحمن بن عوف تماضر بنت الأصبغ تلبية لوصية رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقدم بها المدينة ، وأنجب منها ولده أبا سلمه .

وأمثال هذه المصاهرات تعتبر من أعظم الأسباب لتوطيد الود

---

(١) دومة الجندل : حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليالى وبينها وبين المدينة خمس عشره ليلة .

والمحبة بين القبائل كما أنها عامل من عوامل انتشار الإسلام بين الناس .

١٠— سرية علي إلى فدك :

ثم بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — علي بن أبي طالب أميراً على مائة من المسلمين لتأديب بني سعد بن بكر بفدك[١] ، وذلك لأنهم كانوا يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على المسلمين .

وسار علي ومن معه إليهم فكانوا يكمنون بالنهار ويمشون بالليل حتى انتهوا إلى الفمج[٢] ، فوجدوا به رجلا فقالوا له ما أنت ؟ فقال : أطلب شيئاً ضل مني . فسألوه هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد ؟ قال : لا علم لي به . فلما شددوا عليه أقر أنه جاسوس لهم بعثوه إلى خيبر ليعرض على يهودها نصرهم ، مقابل أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم . فسألوه ، فأين القوم ؟ قال : تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل . فقالوا له : فسر بنا حتى تدلنا عليهم . قال : على أن تؤمنوني ، فقالوا له : إن دللتنا عليهم أو على سرحهم أمناك

---

(١) فدك : قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خيبر .

(٢) الفمج : اسم ماء بين خيبر وفدك .

وإلا فلا أمان لك . فخرج يسير بهم حتى ساء ظنهم به ثم أفضى إلى أرض مستوية فإذا نعم كثيرة وشاء ، فأغار المسلمون عليها وأخذوها فكانت خمسمائة بعير وألفى شاة .

أما بنو سعد فعندما علموا بمقدم المسلمين ولوا الأدبار منهزمين ليس معهم سوى نسائهم وأولادهم .

ثم عاد على وأصحابه إلى المدينة ، وقسم النبي — صلى الله عليه وسلم — تلك الغنائم على مستحقيها ، وهكذا رد الله كيد المشركين فلم يتمكنوا من أن يمدوا يهود خيبر بشيء .

وكانت تلك السرية شعبان من السنة السادسة .

١١ — سرية قتل أبى رافع :

تعقب المسلمون بعد قضائهم على بنى قريظة بسبب غدرهم ، كل من عرف بعداوته للإسلام وكان على رأس اليهود الذين آذوا المسلمين « أبو رافع سلام بن أبى الحقيق » فقد أعان غطفان وغيرهم من مشركى العرب بالمال الكثير ليحاربوا النبى - صلى الله عليه وسلم - وكان من زعماء اليهود البارزين الذين حزبوا الأحزاب للقضاء على الدعوة الإسلامية وأتباعها .

ولقد بلغت المنافسة فى الخير بين قبيلتى الأوس والخزرج، أن إحداهما كانت إذا قامت بعمل يرضى الله ورسوله — صلى الله عليه وسلم — صارعت الأخرى بفعل يشبهه .

قال ابن اسحاق : « حدثنى محمد بن شهاب الزهرى عن عبدالله بن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله به لرسوله — صلى الله عليه وسلم — أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تصاول الفحلين[1] لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — غناء — أى منفعة ورفع مكروه عنه — إلا قالت الخزرج ، والله لا تذهبون بها فضلا علينا عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى الإسلام، قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك ، فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف، قالت الخزرج ، والله لا تذهبون بهـا فضلا علينا أبدا ، قال : فتذاكروا من رجل لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى قتله فأذن لهم ، فخرج إليه

(١) أراد أن كليهما كان يبذل قصارى جهده في الدفاع عن الإسلام .

من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفرهم — عبد الله ابن عتيك — أميرهم — ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، وخزاعى بن الأسود[1] اهـ .

وكان خروجهم لقتل أبى رافع فى رمضان من السنة السادسة ، وقيل فى ذى الحجة من السنة الخامسة .

وقد وردت قصة مقتله فى كتب السنة الصحيحة ، وفى كتب السيرة ، وهاك رواية الإمام البخارى فى هذا الشأن قال : عن البراء بن عازب — رضى الله عنه — قال :

« بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أبى رافع اليهودى رجالا من الأنصار فأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويعين عليه وكان فى حصن له بأرض الحجاز فانطلقوا حتى دنوا من حصنه وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم — أى رجعوا بمواشيهم التى ترعى وتسرح — فقال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم فإنى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٤٣ طبعة الحلبى .

يقضي حاجة — حتى لا يعرف — وقد دخل الناس ، فهتف البواب يا عبد الله[1]. إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق البواب الباب ثم علق الأغاليق — أي المفاتيح — على وتد قال ابن عتيك فقمت إليها فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده ليلا وكان في علالى له — جمع عِلّيه أي غرفة — أي كان الناس يجتمعون عنده ليلا للتحدث في مختلف الشؤون لأنه زعيم خيبر الأكبر فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل ، قلت : إن القوم أحسوا بي لم يخلصوا إلى حتى أقتله فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لاأدرى خصوص المكان الذي هو فيه — فقلت يا أبا رافع — لأعرف موقفه — قال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش — أي حيران — فما أغنت شيئا ، وصاح ـ أبو رافع ـ فخرجت من البيت فكنت غير بعيد ثم دخلت عليه — كأنى أغيثه وغيرت صوتى — فقلت ما هذا يا أبا رافع ؟ قال لأمك الويل، إن رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال عبد الله فضربته ضربة

(١) أراد يا من أنت عبد الله ، ولم يرد اسمه الحقيقى .

أثخنته — أى جرحته جرحاً بليغاً — ولم أقتله ، قال : ثم وضعت ضبيب السيف — أى حده — فى بطنه حتى دخل فى ظهره فعرفت أنى قد قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً بابا حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض — لأنه كان (رضى الله عنه) ضعيف البصر كما جاء فى بعض الروايات — فوقعت فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أو لا فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال . أنعى أبا رافع . تاجر أهل الحجاز قال : فانطلقت إلى أصحابى فقلت النجاة — أى اسرعوا — فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — فحدثته بما وقع فقال ابسط رجلك فبسطتها ، فمسحها ، فكأنما لم اشتكها قط ، وفى رواية عن ابن عتيك قال : قدمنا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم — وهو على المنبر فقال : أفلحت الوجوه[1] .

هذا ، وهناك روايات أخرى فى مقتل (أبى رافع) يؤخذ منها أن قاتله هو عبد الله بن أنيس ، أو أن الخمسة قد اشتركوا فى قتله ، إلا أننا آثرنا رواية البخارى التى تصرح بأن قاتله هو (عبد الله

(١) صحيح البخارى « باب : قتل أبى رافع » جـ ٥ ص ١١٧ .

بن عتيك) لأنها أقوى سنداً من غيرها ، ولذا قال صاحب المواهب : « الصواب أن الذى دخل عليه وقتله عبد الله بن عتيك وحده كما فى البخارى[1] .

قال الحافظ ابن حجر : وفى هذا الحديث من الفوائد : جواز اغتيال المشرك الذى بلغته الدعوة وأصر على الكفر ، وقتل من أعان على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بيده أو ماله أو لسانه ، وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم ، والأخذ بالشدة فى محاربة المشركين ، وجواز إيهام القول للمصلحة ، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين ، والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك — رضى الله عنه — على أبى رافع بصوته واعتماده على صوت الناعى بموته[2] » .

وبمقتل أبى رافع دب الرعب فى قلوب يهود خيبر ، وزالت عن طريق الإسلام عقبة كأداء طالما آذت المسلمين ، وكان مقتله كتمهيد لفتح خيبر .

(١) شرح المواهب للزرقانى جـ ٢ ص ١٧٠ .

(٢) فتح البارى جـ ٧ ص ٣٤٢ « كتاب المغازى » .

١٢ — « سرية قتل أُسَيْر » :

تولى أسير بن رزام زعامة يهود خيبر بعد مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق وكان أسير يجتمع ببني غطفان ليعقد معهم العقود والاتفاقيات ليكونوا معه عندما يشتبك مع المسلمين في حرب وأخذ يشجع اليهود بعد ذلك على الحرب ويقول لهم « والله ما سار محمد — صلى الله عليه وسلم — إلى أحد من يهود ، ولا بعث أحداً من أصحابه إلا أصاب منهم ما أراد ، ولكن سأصنع معه مالم يصنع غيرى فقالوا له : وما عسيت أن تصنع ؟ قال : سأجمع غطفان وغيرها من القبائل ، ونسير إليه فى عقر داره ، فإنه لم يغز أحد فى عقر داره إلا أدرك منه عدوه بعض ما يريد ، فقالوا له : نعم ما رأيت »(١).

وترامت أنباء تهديدات « أسير بن رزام » إلى مسامع المسلمين فأرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — عبد الله بن رواحة — رضى الله عنه — على رأس ثلاثة نفر من المسلمين ليعرفوا أخبار أسير ابن رزام .

وكان مسيرهم إليه فى رمضان من السنة السادسة ، فلما وصل

(١) شرح المواهب للزرقانى حـ ٢ ص ١٧٠ .

عبد الله بن رواحة إلى ناحية خيبر دخل فى حوائطها ، دون أن يفطن إليه أحد وفرق زملاءه الثلاثة على الحصون ، وأخذ الجميع يتنطسون أخبار (أسير بن رزام) ومن معه لمدة ثلاثة أيام ، فعلموا أنه يضمر الشر للمسلمين ، ويعد العدة لغزوهم .

فعادوا إلى النبي — صلى الله عليه وسلم فحدثوه بما رأوا وسمعوا وقالوا له : تركنا « أسير بن رزام » يجهز الكتائب لغزونا ، فعندئذ رأى النبي — صلى الله عليه وسلم — بحسن سياسته أن يرسل إلى « أسير بن رزام » من يدعوه إلى القدوم على المدينة لمفاوضته فيما يريد ، وندب لتلك المهمة ثلاثين رجلا برئاسة عبد الله بن رواحة — رضى الله عنه — فوصلوا إلى خيبر فى شوال من السنة السادسة .

فلما دخلوا على « أسير بن رزام » قالوا له : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ؟ قال نعم ، ولى منكم مثل ذلك ؟ قالوا له : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعثنا إليك ليستعملك على خيبر ، ويحسن إليك ، فطمع فى ذلك واستشار بعض اليهود فى الخروج إلى المدينة فخالفوه ، ولكنه خرج ومعه ثلاثون رجلا من اليهود وخرج المسلمون معه ، فلما كانوا (بالقرقره)[1] ندم

---

(١) (القرقرة) مكان على بعد سبعة اميال من خيبر .

أسير على خروجه إلى المدينة ، وحاول أن يستل سيفه ليغدر بالمسلمين ففطن عبد الله بن أنيس — رضى الله عنه — له وهو يريد السيف ، فقال له : أغدر يا عدو الله ، ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضرب (أسير) عبد الله بن أنيس بمخراش فى يده من شوحط فأمه — أى بآلة من شجر الجبال الذى يتخذ منه القسى فشجه — ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود ، فقتله إلا رجلا واحداً أفلت على رجليه ، ولم يصب من المسلمين أحد ثم قدموا على النبى — صلى الله عليه وسلم — فحدثوه بما جرى لهم مع (أسير) ورجاله فقال لهم - صلى الله عليه وسلم - قد نجاكم الله من القوم الظالمين .

وبمقتل أسير بن رزام تخلص المسلمون من يهودى طاغية أراد أن يغزوهم فى دارهم وأظهر الغدر للمسلمين ، فجنى على نفسه بغدره وظلمه .

١٣ — « سرية كرز إلى العرنيين » :

وفى شهر شوال من هذه السنة قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم ثمانية نفر من قبيلتى عكل وعرينة فأظهر الإسلام وبايعوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكانوا سقاماً مصفرة ألوانهم

منتفخة بطونهم . فقالوا : يا رسول الله ، إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف ، وأن هواء المدينة لا يوافقنا ، فأمر لهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بذود من الإبل معها راع ، وأمرهم بالبقاء معها فى مرعاها بالصحراء ليشربوا من ألبانها ففعلوا .

فلما عادت إليهم عافيتهم وصحتهم كفروا بعد إسلامهم ، وعدوا على الإبل فاستاقوها ثم انقضوا على الراعى فقتلوه وقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك فى لسانه .

فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم – بذلك بعث فى أثرهم كرز بن جابر فى عشرين راكباً ، فلحقوا بهم فأسروهم جميعاً ثم عادوا بهم إلى المدينة ، فأمر النبى – صلى الله عليه وسلم – بأن يمثل بهم كما مثلوا بالراعى ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمرت عيونهم ، وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم . وقد نهى النبى – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك عن المثلة .

وهكذا يكون جزاء الغادرين الذين يقابلون الإحسان بالإساءة ، وكرم المعاملة باللؤم والخيانة والاعتداء .

١٤ - « بعث عمرو لقتل أبى سفيان » :

ذكر بعض المؤرخين — كابن سعد وغيره — أن أبا سفيان بن حرب جلس يوماً فى نادى قومه فقال : « ألا أحد يذهب إلى محمد فيقتله فنستريح منه فإنه يمشى فى الأسواق ؟ فأتاه رجل من الأعراب فقال : لقد وجدت أجمع الرجال قلبا ، وأشدهم بطشا ، وأسرعهم شدا ، فإن أنت قويتنى خرجت إليه حتى أغتاله[1] فسر أبو سفيان لحديث الأعرابى ، وقال له : اطو أمرك عن الناس ثم أعطاه بعيراً ونفقة أجراً له على أداء مهمته .

فخرج الأعرابى قاصداً المدينة فوصلها بعد ست ليال ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى أرشد إليه ، فعقل راحلته ، ثم توجه إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل . فلما رآه الرسول عليه الصلاة والسلام — قال : « إن هذا الرجل ليريد غدرا وإن الله حائل بينه وبين ما يريد » ثم أقبل الرجل لينحنى علي رسول الله فجذبه أسيد بن حضير من ازاره فسقط الخنجر على الأرض . فارتاع الرجل

---

(١) طبقات بن سعد جـ٢ ص ٨٨ بتصرف .

وأسقط في يده وانقض عليه أسيد فخنقه خنقاً شديداً ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — للرجل : « أصدقني ما أنت » ؟ فقال الرجل : وأنا آمن إذا صدقتك ؟ قال : نعم . فأخبره بأمره وبما قاله أبو سفيان فخلى عنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

فقال الرجل : والله يا محمد ما كنت أخاف الرجال فما هو إلا أن رأيتك حتى ذهب عقلي ، وضعفت نفسي ، ثم أنك أطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق ، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان ثم أسلم .

وبعد ذلك أرسل النبي — صلى الله عليه — عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان وقال لهما : « إن أصبحتما منه غره فاقتلاه » فخرجا حتى قدما مكة ليلا ، فاتجها شطر البيت الحرام ليطوفا به قبل أن يؤديا ما أرسلا من أجله ، فعرف عمرو أحد رجال مكة فصاح قائلا : هذا عمرو بن أمية ما جاء إلا لشر ، وأخذ الناس يتجمعون للقبض عليه ، فلما أيقن عمرو أنه لن يستطيع أن يصل إلى أبي سفيان بعد أن اكتشف أمره هرب هو وصاحبه ورجعا إلى المدينة .

وفي الطريق لقي عمرو بن أمية رجلا من قريش فقتله ، ثم قتل آخر — أيضاً — لأنه سمعه يتغنى بقوله .

ولست بمسلم ما دمت حيا ولست أدين دين المسلمين

ثم لقى رسولين لقريش بعثهما يتجسسان أخبار المسلمين لها ، فقتل أحدهما وأسر الثانى فقدم به المدينة .

قال ابن سعد : « فجعل عمرو - بعد وصوله إلى المدينة - يخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - خبره ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضحك »[1] ثم دعا له بخير .

وهكذا نجا أبو سفيان ، وكأن الله — تعالى — قد أراد له أن يعيش حتى يشهد بنفسه فتح مكة على أيدى المسلمين ، ويدخل فى دين الإسلام عن طواعية واختيار .

وكان هذا البعث قبيل عقد صلح الحديبية من السنة السادسة .

هذا ، وفى تلك السنة حدثت الغزوات الآتية :

١ — غزوة بنى لحيان وكانت فى شهر ربيع الأول .

٢ — وغزوة الحديبية وكانت فى شهر ذى القعدة .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد حـ ٢ ص ٦٨ .

سرايا السنة السابعة من الهجرة

١ — « سرية عمر إلى هوازن »

ثم أقبلت السنة السابعة وفيها أرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — عدداً من السرايا ، لإعلاء كلمة الله ، وتأديب الغادرين وكان من أشهرها ما يلي .

سرية عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلى بطن من بطون هوازن بناحية تربة[1] ، وذلك لأنهم كانوا يظهرون العداوة للمسلمين ويناصرون المشركين عليهم .

وكان مع عمر — رضى الله عنه — ثلاثون راكبا ، وكان معهم دليل من بنى هلال لكى يدلهم على منازل القوم . فكان عمر ومن معه يسيرون الليل ويكمنون النهار ، فلما إنتهو إلى ديارهم وجدوهم قد هربوا منها ومعهم ماشيتهم وزراريهم بعد أن أحسوا بقدوم المسلمين .

ولما يئس عمر ومن معه من العثور على أحد منهم قفل راجعاً إلى

(١) تربة : اسم موضع على أربع ليال من مكة على طريق صنعاء ونجران :

للدينة . فقال له الدليل الذى كان معهم بعد أن أصبحوا على بعد ستة أميال من المدينة — ياعمر : هل لك فى قتال جمع آخر من خثعم فقال له عمر : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يأمرنى إلا بقتال هوزان فى أرضهم ولم يأمرنى بقتال غيرهم ولو أمرنى لفعلت.

وكانت تلك السرية فى شعبان من هذه السنة .

٣ — « سرية أبى بكر إلى بنى فزارة » :

ثم بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — بعد ذلك أبا بكر الصديق ومعه جماعة من المسلمين لقتال بنى فزارة ، لأنهم كانوا يؤذون المسلمين .

وقد تكلم الإمام ابن كثير عن هذه السرية فقال . قال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار عن أياس بن مسلمة قال : حدثنى أبى فقال . خرجنا مع أبى بكر وأمره رسول الله — صلى الله عليه وسلم — علينا فغزونا بنى فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا[1] فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مربنا . قال مسلمة . ثم نظرت إلى عنق[2]

(١) عرسنا : نزلنا فى ذلك المكان للاستراحة آخر الليل .

(٢) عنق من الناس أى جماعة متقدمة .

من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو فى آثارهم ، فخشيت أن يسبقونى إلى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل . قال . فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء وفيهم أمرأة من فزارة عليها قشع من أدم ومعها إبنة لها من أحسن العرب قال . فنفلنى أبو بكر إبنتها . قال . فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوباً . قال . فلقينى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى السوق قال لى . «يا سلمة هب لى المرأة» قال . فقلت يا رسول الله لقد أعجبتنى وما كشفت لها ثوباً . قال : فسكت رسول الله وتركنى حتى إذا كان من الغد لقينى فى السوق ، فقال : «يا سلمة هب لى المرأة لله فقلت يا رسول الله لله أبوك قال : والله ما كشفت لها ثوباً وهى لك يارسول الله . قال . فبعث بها رسول الله . إلى أهل مكة وفى أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — بتلك المرأة[1] .

٣ — سرية بشير إلى بنى مرة » :

ثم بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — بشير بن سعد الأنصارى على رأس ثلاثين رجلا من الصحابة لقتال بنى مرة بفدك[2] ،

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٢٢٠ طبعة بيروت .

(٢) فدك : اسم موضع بالقرب من خيبر .

فلما ورد ديارهم لم يجد إلا الرعاة فسأل عن بنى مرة فقالوا له إنهم فى نواديهم . فاستاق بشير ومن معه النعم والشاء وانحدروا راجعين إلى المدينة . وكان بنو مرة خارج دورهم ، فلما علموا بما فعله المسلمون أجمعوا جموعهم وتتبعوهم ليلا وأخذوا يرمونهم بالنبال . وفى الصباح اقتتل الفريقان قتالا شديداً ، وقد استشهد معظم المسلمين الذين إشتركوا فى هذه السرية بعد أن أبلوا فى الدفاع عن أنفسهم بلاء حسنا ، وسقط بشير بين القتلى جريحاً حتى ظنوه قد مات ، فلما أمسى المساء ، تحامل على نفسه ، وعاد إلى المدينة فأخبر النبى — صلى الله عليه وسلم — بما حدث له ولأصحابه ،

وكانت هذه السرية فى شهر شعبان من السنة السابعة .

٤ — « سرية غالب إلى أهل الميفعة » :

وفى رمضان أرسل النبى — صلى الله عليه وسلم — غالب بن عبد الله الليثى ومعه مائة وثلاثون راكباً إلى أهل الميفعة(١) — وهم بنو عوال وبنو عبد بن ثعلبة — ، وكان دليل المسلمين إلى ديار القوم يسار مولى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما وصل

(١) الميفعة : موضع مرتفع من الأرض على بعد ثمانية برد من المدينة بناحية نجد .

غالب وصحبه إلى ديار أعدائهم هجموا عليها ، فقتلوا عدداً منهم ثم استاقوا ما غنموه من إبل وشاه إلى المدينة .

قال صاحب المواهب : « وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد أن قال لا إله إلا الله . فقال أسامة يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل ، فقال له رسول الله . هلا شققت عن قلبه فنظرت إليه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ فقال أسامة . لاأقاتل أحد يشهد أن لا إله إلا الله[1] .

ويرى الإمام البخارى والحاكم أن قتل أسامة لهذا الرجل لم يكن فى هذه السرية ، وإنما كان فى سرية أخرى كانت فى السنة الثامنة وكان هو أميرها . إلا أن أهل المغازى كابن سعد وابن إسحاق والواقدى يرون أن ذلك كان فى سرية غالب هذه .

● — « سرية بشير إلى غطفان » :

وفى شوال من هذه السنة ، بلغ النبى — صلى الله عليه وسلم — أن عيينة بن حصن قد واعد جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر الاغارة على المدينة .

(١) شرح المواهب للزرقانى جـ ٢ ص ٢٥١ .

فدعا النبي — صلى الله عليه وسلم — بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل ، وأمره أن يسير إلى هوازن ليفرق جموعها .

ولبى بشير الأمر وخرج من المدينة بمن معه ، فكانوا يسيرون الليل ، ويختفون بالنهار حتى وصلوا إلى مشارف ديار أعدائهم .

فلما بلغ عيينه وهوازن أن بشيراً وأصحابه قد اقتربوا من ديارهم هربوا وتفرقوا ، فاقتحم المسلمون ديارهم فأصابوا ما فيها من نعم وماشية ، وعثروا على جاسوس لعيينه فقتلوه ، ثم التقوا بجمع من أتباع عيينه — أيضاً — فهزموهم وأجبروهم على الفرار بعد أن أسروا منهم رجلين ثم عادوا إلى المدينة ومعهم تلك الغنائم .

وعندما وقف الرجلان الأسيران بين يدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أظهرا الإسلام فأطلق سراحهما .

٦ — « سرية السلمى إلى بنى سليم » :

ثم بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — ابن أبي العوجاء السلمى على رأس خمسين رجلا إلى بنى سليم لتأديبهم على إيذائهم المسلمين .

فخرج إليهم بمن معه ، وكان قد عرف بمقدمة على بنى سليم رجل منهم فأخذ يحذر قومه ويأمرهم بإعداد العدة لقتاله . فلما وصل ابن أبى العوجاء إلى ديارهم جعل يدعوهم إلى الإسلام ولكنهم لم يستجيبوا ، بل قالوا له لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا إليه . ثم نشب القتال بين الفريقين وكان عدد بنى سليم أضعاف عدد هذه السرية وقد استمات المسلمون فى قتال أعدائهم ، ألا أن بنى سليم تكاثروا عليهم فاستشهد أكثر المسلمين ولم ينج منهم سوى قائدهم بعد أن جرح جرحاً بليغاً ، فعاد إلى المدينة وأخبر النبى — صلى الله عليه وسلم — فتأثر صلى الله عليه وسلم لذلك بما حدث له ولرفاقه لذلك ، وكان خروج تلك السرية إلى بنى سليم فى شهر ذى الحجة من السنة السابعة ، وكانت عودة ابن أبى العوجاء إلى المدينة فى أول يوم من صفر من السنة الثامنة .

وفى هذه السنة حدثت غزوة خيبر التى تم للمسلمين فيها الظفر على اليهود .

سرايا السنة الثامنة

١ — سرية غالب إلى بنى الملوح :

إنتهت السنة السابعة ، وجاءت السنة الثامنة ، وفيها بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — أكثر من عشرة بعوث من أجل إعلاء كلمة الله ، وتأديب المنحرفين عن طريقه وكان من أهم البعوث التي أرسلها النبي — صلى الله عليه وسلم — ما يلي :

فى صفر من هذه السنة ، بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — غالب بن عبد الله الليثي ومعه بضعة عشر رجلا إلى بنى الملوح وهم قوم من العرب كانوا يسكنون بالكديد[1] وكانوا يسيئون إلى المسلمين .

فخرج غالب وصحبه لأداء ما كلفه به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفى الطريق التقى بالحارث بن مالك الليثى المعروف

(١) الكدود : اسم ماء بين عسفان وعديد .

بابن البرصاء ، وكان الحارث خصماً لدودا للمسلمين ، فأسره غالب ورفاقه .

فقال لهم الحارث : إنما جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالوا له : إن كنت مسلماً فلن يضرك رباط ليلة ، وإن كنت على غير ذلك فإننا نريد أن نستوثق منك ، ثم شدوا وثاقه وتركوا معه رجلاً منهم وقالوا له : إن نازعك فاحتز رأسه .

ثم تابع غالب وصحبه سيرهم فوصلوا إلى ديار القوم عند غروب الشمس ، فأمهلوهم حتى إذا ما اطمأنوا ونموا شنوا عليهم الغارة مع مطلع الفجر فقتلوا عدداً منهم واستاقوا ماشيتهم وقفلوا راجعين ، ومروا فى طريقهم بالحارث بن مالك فأخذوه معهم .

ولكن بنى الملوح لم يتركوا المسلمين ، بل جمعوا جموعهم وخرجوا فى آثار غالب وأصحابه فأدركوهم ، وحاولوا أن يحيطوا بهم ، وهنا أمد الله المسلمين بجند من عنده — وما يعلم جنود ربك إلا هو — ، فقد أرسل — سبحانه — الوادى بالسيل حتى امتلأ بالماء بحيث لا يستطيع أحد إجتيازه .

وقف بنو الملوح ينظرون إلى المسلمين وهم يسوقون ماغنموه منهم دون أن يستطيعوا الوصول إليهم .

وعاد غالب ومن معه إلى المدينة تحدوهم عناية الله ورعايته ، وكان شعارهم فى هذا اليوم أمت أمت .

٢ — سرية غالب إلى فدك :

وبعد أن عاد غالب مؤيداً منصوراً على بنى الملوح ، دعاه النبى — صلى الله عليه وسلم — وقال له :

« سر حتى تنتهى إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد فإن أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم » ثم أرسل معه مائتى رجل وعقد له لواء .

وسار غالب ومن معه حتى وصل إلى بنى مرة الذين قتلوا أصحاب بشير بن سعد ، وكانوا يقيمون بفدك ، فأغار عليهم هو ورفاقه مع طلوع الفجر ، وقتلوا من بنى مرة عدداً من رجالهم ، وأسروا عدداً آخر ، ثم استاقوا ما غنموه منهم من إبل وغنم ، فكان نصيب كل واحد منهم من تلك الغنائم عشرة من الإبل أو ما يعادلها من الغنم .

وكان غالب — رضى الله عنه — قد بعث طلائعه لتستكشف له أحوال بنى مرة قبل أن تبدأ المعركة ، فلما عادوا إليه وأخبروه خبرهم ، جمع أصحابه فخطبهم خطبة قال فيها بعد حمد الله والصلاة على رسوله : أيها الناس إنى أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأوصيكم بأن تطيعونى ولا تعصونى ولا تخالفوا لى أمراً فانه لا رأى لمن لا يطاع . ثم ألف بين كل إثنين وقال لهم : لا يفارق أحد منكم زميله ، وإذا كبرت فكبروا ، فلما أحاطو بالقوم كبر غالب فكبروا معه وإنتهت المعركة بانتصارهم ، وكان شعارهم أمت أمت .

ثم عاد غالب إلى المدينة ومعه رفاقه بعد أن قام بأداء ما كلف به خير قيام . وكانت هذه السرية ـ أيضاً ـ فى صفر من السنة الثامنة .

٣ — سرية شجاع إلى بنى عامر :

ثم بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — شجاع بن وهب الأسدى ومعه أربعة وعشرون رجلا إلى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر وكانوا يقيمون بالسىء(١) وأمره أن يغير عليهم لإساءتهم إلى المسلمين .

(١) الشىء : موضع على خمس ليال من المدينة وقيل : هو اسم ماء على ثلاثة مراحل من مكة .

فخرج شجاع بأصحابه فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى صبح القوم وهم غافلون، فأغار عليهم، وأصاب منهم غنائم كثيرة.

ثم عاد إلى المدينة بعد أن غاب عنها خمس عشرة ليلة، وبلغ نصيب الواحد منهم من هذه الغنائم خمسة عشر بعيراً أو ما يعادلها من الغنم.

وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الأول من السنة الثامنة.

٤ — سرية كعب إلى ذات أطلاح:

وفى شهر ربيع الأول — أيضاً — بعث النبي صلى الله عليه وسلم — كعب بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا إلى ذات أطلاح من أرض الشام من وراء وادى القرى.

فخرج كعب ورفاقه فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار، حتى إنتهوا إلى ديار القوم، فرآهم رجل منهم فأسرع إلى قومه وأخبرهم بقلة عدد المسلمين.

وعندما تلاقى كعب بأعدائه دعاهم إلى الإسلام فأبوا أن يستجيبوا له ثم دار القتال بين الفريقين — وكان المشركون

أضعاف عدد المسلمين — فاستشهد أصحاب كعب جميعاً بعد أن قاتلوا قتال الأبطال ، وسقط كعب بين القتلى جريحا فظنه الأعداء قد مات ، فلما أدبروا تحامل كعب على نفسه وصار حتى وصل المدينة .

وقد تأثر النبي — صلى الله عليه وسلم — كثيراً عندما علم باستشهاد رفاق كعب ، وهم بأن يبعث سرية أخرى لتنتقم من قاتليهم ولكنه عدل عن ذلك بعد أن علم أنهم قد تركوا ديارهم وساروا إلى موضع آخر .

٥ — سرية مؤته[١] :

تعتبر سرية مؤته من أعظم البعوث الحربية التي ابتعثها النبي — صلى الله عليه وسلم — من أجل إعلاء كلمة الله ، ورد كيد أعدائه .

وكانت هذه السرية في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة ، وكان السبب فيها أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان قد أرسل

(١) مؤته : قرية بأدنى البلقاء من أرض الشام على مرحلتين من بيت المقدس .

قال صاحب المواهب ما ملخصه : سماها بعضهم غزوة لكثرة جيش المسلمين فيها ، وسماها آخرون سرية لأنها طائفة من جيشه — صلى الله عليه وسلم — ولم يخرج مع الجيش فيها .

الحارث بن عمير الأزدى بكتاب إلى أمير بصرى من قبل هرقل، فلما وصل الحارث بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أرض مؤته تصدى له شرحبيل بن عمر الغسانى أحد أمراء هرقل على الشام وقال له : أين تريد ؟ فقال الحارث : أريد الشام . فقال له شرحبيل : لعلك من رسل محمد — صلى الله عليه وسلم — ؟ قال : نعم فأمر به فأوثق رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحد من الرسل سوى الحارث — رضى الله عنه — وعلم النبي — صلى الله عليه وسلم — بذلك فاشتد غضبة ، وأمر بجمع الناس ، ثم جهز منهم ثلاثة آلاف للخروج وقال : أمير الناس زيد بن حارثة ، فإن قتل فجعفر بن أبى طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم . ثم عقد النبي — صلى الله عليه وسلم — لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة ، وأوصاه ومن معه بأن يسيروا حتى ينتهوا إلى المكان الذى قتل فيه الحاوث فيدعوا من هناك إلى الإسلام ، فان استجابوا لهم تركوهم وإلا قاتلوهم .

وأسرع جيش المسلمين بقيادة زيد بالخروج من المدينة فعسكر على بعد ثلاثة أميال منها ، وخرج الرسول — صلى الله عليه وسلم —

مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وكان مما قاله لهم .

«أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً . أغزوا بسم الله في سبيل الله من كفر بالله . ولا تغدروا ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليداً ولا إمرأة ولا تقطعوا شجراً ، ولا تهدموا بناء[1] .

قال ابن إسحاق . فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسلموا عليهم ، فلما ودع عبد الله بن رواحه من ودع من أمراء رسول الله بكى ، فقالوا . ما يبكيك يا ابن رواحه ؟ فقال . أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابه بكم ، ولكنى سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ، وهي . وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُها كَانَ عَلَى ربكَ حَتْماً مقْضياً .

فلم أدر كيف لى بالصدور بعد الورود . فقال المسلمون . صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة[2] .

لكننى أسألُ الرحمن مغفرة
وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا[3]

(١) شرح المواهب للزرقاني جـ ٢ ص ٢٦٩ .

(٢) الروحة الأنف في شرح سيره ابن هشام جـ ٧ ص ١٠

(٣) ذات فرغ : يريد واسعة . والزبد : مايعلو الدم الذي يتفجر من الطعنة .

أو طعنة بيَدَى حرّان مجهزة

بحرية تنفذ الأحشاء والكبدا[1]

حتى يقال إذا مروا على جدثى

أرشدَهُ الله من غازٍ وقد رشدا[2]

ثم أقبل عبد الله بن رواحة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فودعه ثم قال :

أنت الرسول فمن يُحْرَم نوافله

والوجه منه فقد أزرى به القدر[3]

فثبت الله ما آتاك من حسَن

فى المرسلين ونصراً كالذى نصروا[4]

إنى تفرست فيك الخير نافله

فراسة خالفت فيك الذى نظروا[5]

ثم أسرع جيش المسلمين بعد ذلك فى المسير إلى الشام ،

---

(١) مجهزه : سريعة القتل . (٢) الجدث : القبر .

(٣) أزرى به القدر : أى قصد به .

(٤) ثبت الله ما آتاك : أى قواه وأيده وجعل لك الغلبة .

(٥) تفرست : تبينت .

أملا منهم فى أن يأخذوا أعداءهم على غرة فيبغتوهم فى ديارهم ويكون لهم النصر عليهم ، وما زالوا فى مسيرتهم حتى بلغوا ناحية معان من أرض الشام . فترامت أنباؤهم إلى شرحبيل بن عمرو الغسانى وإلى غيره من أمراء الروم وأتباعهم ، فجمع شرحبيل ما يقرب من مائة ألف من أتباعه ، وأرسل إلى هرقل يستعينه على حرب المسلمين فأمده بمائة ألف أخرى من الروم وممن كان قد انضم إليهم من قبائل لَخْم وجُذَام وبَهْراء .

ويرى بعض المؤرخين أن هرقلا بنفسه هو الذى كان يقود تلك الجموع ، ويرى آخرون أن تيودور أخا هرقل هو الذى كان على رأس هذه الجيوش لا هرقل نفسه . وعلم المسلمون وهم بمعان بأخبار هذه الجموع الهائلة ، فأقاموا بها ليلتين يتشاورون فيما بينهم ماذا سيصنعون أمام تلك الآلاف التى لا قبل لهم بها ؟ فاقترح بعضهم أن يكتبوا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيخبرونه بعدد الأعداء ، لكى يمدهم بمدد من عنده أو يأمرهم بما يشاء ، وكاد الجميع أن يتفقوا على هذا الرأى لولا أن عبد الله بن رواحة وقف خطيباً فى الناس فقال . « ياقوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم إليها تطلبون . وهى الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة

ولا قوة ولا كثرة . وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة .

وتأثر الناس بما قاله ابن رواحه ، وتعاهدوا على القتال فى سبيل الله ، وقال بعضهم لبعض لقد صدق والله ابن رواحه .

ومضى المسلمون فى طريقهم حتى إذا كانوا بالبلقاء من أرض الشام لقيتهم جيوش هرقل من الروم والعرب عند قرية يقال لها مشارف . فلما دنى الأعداء من المسلمين انحاز المسلمون إلى مؤته لأنهم رأوها أفضل مكان للتحصن والحماية .

وفى مؤته بدأت معركة حامية الوطيس بين مائتى ألف من جيوش الروم وبين ثلاثة آلاف من المسلمين ، قد ملأ الإيمان قلوبهم فجعلهم لا يبالون بكثرة أعدائهم وحمل الراية زيد بن حارثة وجعل يقاتل بشجاعة واستماتة حتى شاط فى رماح القوم أى : حتى تمزق وتقطع ، وذهب كالشىء المتفرق المحترق بسبب كثرة ما أصابه من طعنات فتناول الراية من يده جعفر بن أبى طالب وكان فى الثالثة والثلاثين من عمره ، فأخذ يقاتل قتال الأبطال المغاوير ، وعندما أحاط به المشركون وهو : يقاتلهم على فرسه ترجل عنها ، واندفع على قدميه وسط الصفوف يهوى بسيفه على رءوس أعدائه حتى سقط شهيدا .

روى الإمام البخارى عن ابن عمر قال : « كنت فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا فى جسده بضعا وتسعين ما بين طعنة برمح ورمية بسهم » .

وفى رواية : « وما وجدنا منها شيئاً فى ظهره[1] » .

وقال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال : حدثنى أبى — وكان قد حضر معركة مؤته — فقال : والله لكأنى انظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

على إذ لاقيتها ضرابها

وقال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر ابن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه[2] حتى قتل . فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة

(١) شرح المواهب للزرقانى ج ٢ ص ٢٧١ .

(٢) احتضنه : أخذه فى حضنه . وحضن الرجل : ما تحت العضد إلى أسفل.

يطير بهما حيث شاء . ويقال : أن رجلا من الروم يومئذ ضربه فقطعه نصفين[1] .

ثم أخذ الراية من بعد جعفر عبد الله بن رواحه ، فتقدم بها وهو يتردد بعض التردد ، ولكنه بعد قليل تشجع وأخذ يقاتل القوم وهو يقول :

يا نفس ألا تقتلى تموتى   هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت   إن تفعلى فعلهما هديت

أى : إن تفعلى فعل جعفر وزيد تهتدين إلى الخير . ثم أقدم على القتال .

وفى خلال ذلك أتاه ابن عم له بقطعة من اللحم فناولها إياه وقال له : خذها يا عبد الله لتشد بها صلبك فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت . فأخذها من يده ثم وما كاد يقتطع منها قطعه حتى رأى ناحية من الناس قد اشتد فيها القتال . فقال لنفسه : وأنت فى الدنيا ثم ألقى قطعة اللحم من يده ، ورمى بنفسه وسط المعمعه وما زال يقاتل حتى قتل .

---

(١) سيرة ابن هام ج ٣ ص ٤٣٤ .

وهكذا استشهد الأمراء الثلاثة بعد أن دافعوا عن عقيدتهم دفاع الأبطال .

ثم أخذ الراية من بعدهم ثابت بن أرقم — أخو بنو عجلان — فصاح فى الناس : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية شرع يقاتل الروم بمهارة واحتيال، فإنه — رضى الله عنه — فى هذا الموقف الدقيق ، وفى تلك الظروف الصعبة ، أخذ يدور بالمسلمين حتى انضمت صفوفهم ، وأخذ يناوش الأعداء ويراوغهم حتى أقبل الليل ، ووضع الجيشان السلاح إلى الصباح . « وفى أثناء ذلك أحكم خالد تدبير خطته ، فوزع عدداً غير قليل من رجاله فى خط طويل من مؤخرة جيشه أحدثوا إذ أصبح الناس من الجلبة ما أدخل فى روع عدوه أن مدداً جاءه من عند النبى — صلى الله عليه وسلم — وإذا كان ثلاثة آلاف قد فعلوا بالروم الأفاعيل فى اليوم الأول وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، فما عسى أن يصنع هـذا المدد الذى جاء ولا يدرى أحد عدته !! لذلك تقاعس الروم عن مهاجمة خالد وسروا بعدم مهاجمته إياهم ، وكانوا أكثر سروراً بانسحابه ومن معه راجعين إلى المدينة ، بعد معركة لم ينتصر

فيها انتصر المسلمون وإن كان حقاً كذلك أن عدوهم لم ينتصر عليهم فيها[1] » .

ولقد قاتل خالد الروم قتال الأبطال ، فقد روى البخارى — بسنده — عنه أنه قال : اندقت فى يدى يوم « مؤته » تسعة أسياف ، وما ثبت فى يدى إلا صفيحة يمانية .

ولقد أخبر النبي — صلى الله عليه وسلم — أصحابه — والحزن ظاهر علي وجهه — بما أصاب الأمراء الثلاثة قبل أن يعود جيش المسلمين إلى المدينة .

فعن أنس بن مالك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نعى زيدا وجعفر وابن رواحه للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : أخذ الراية زيدا فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحه فأصيب — وعيناه تذرفان — قال : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم[2] » .

وقال ابن اسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة

---

(١) حياة محمد . ص ٤٠٨ .

(٢) صحيح البخارى ج ٧ ص ٤١٣ .

فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، قال : ثم صمت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحه ما يكرهون ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحه فقاتل بها حتى قتل شهيدا . ثم قال : « لقد رفعوا إلى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحه ازورارا[1] عن سريرى صاحبيه . فقلت : عم هذا ؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى[2] » .

وبعد أيام عاد جيش المسلمين إلى المدينة ، فلما اقتربوا منها — بعد تلك المعركة الشاقة المرهقة — تلقاهم النبي — صلى الله عليه وسلم — والمسلمون وجعل الصبيان يحثون على الجيش التراب ويقولون : « يا فرار فررتم من الموت فى سبيل الله ! ! فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله[3] » .

---

(١) ازورارا : ميلا واعوجاجا .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٣٥ .

ومع هذه الشهادة المشرفة من النبي — صلى الله عليه وسلم — لجيش مؤته ، فقد ظل بعض المسلمين لا يغفرون لهم انسحابهم .

قال ابن اسحاق : « قالت أم سلمة زوج النبي — صلى الله عليه وسلم — لامرأة سلمة بن هشام بن العاص : مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومع المسلمين ؟ فقالت إمرأة سلمه : والله ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يا فرار فررتم فى سبيل الله حتى قعد فى بيته فما يخرج[1] .

ولم ينس النبي — صلى الله عليه وسلم — فى زحمة الحزن الذى أصابه بسبب فقده لعدد من خيار أصحابه ، لم ينس أن يواسى أسر الشهداء ، وأن يقدم لهم أسمى ألوان التكريم ، فقد قال عن الذين استشهدوا « ما يسرهم أنهم عندنا » وأخرج الإمام أحمد عن عبدالله ابن جعفر أنه قال : « جاءنا النبي — الله عليه وسلم — بعد ثلاث من موت أبى جعفر فقال : لا تبكوا على أخى بعد اليوم . وادعوا لى بنى أخى ، قال عبد الله ، فجىء بنا كأننا أفراخ : فقال : ادعوا إلى الحلاق فجىء بالحلاق فحلق رءوسنا ثم قال — صلى الله عليه وسلم —

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٢٩ .

أما محمد فشبيه بعمنا أبي طالب ، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي . ثم أخذ بيدي فأشالها وقال ـ ثلاث مرات : « اللهم أخلف جعفر أخي في أهله وبارك لعبد الله صفقة يمينه قال عبد الله : وجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تحزنه . فقال لها النبي — صلى الله عليه وسلم — « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة » .

وعن أسماء بنت عميس — زوجة جعفر — أنها قالت : « لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد عجنت عجيني ، وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم . قالت : فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ائتني ببني جعفر » فأتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه . فقلت . يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ فقال : « أصيبوا هذا اليوم « قالت : فقمت أصيح واجتمع إلى النساء ، وخرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال . « لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » .

وعندما استقبل — صلى الله عليه وسلم — أسرة زيد ، ورأى بنتا له تبكي بكى لبكائها ، فقال له سعد بن عبادة يا رسول الله ما هذا ؟ .

فقال ـ صلوات الله عليه ـ هذا شوق الحبيب إلى الحبيب ، إنما هي عبرات الصديق بفقد صديقه .

هذا ، وقد كانت معركة مؤته بداية لجولات أخرى مع الروم وقد تمت تلك الجولات في ظروف مختلفة ، انتهت بسقوط دولة الروم على أيدي المسلمين في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ .

٦ — سرية عمرو إلى ذات السلاسل :

انتهت معركة مؤته كما رأينا برجوع جيش المسلمين إلى المدينة دون أن يشفي غله من أعدائه ، بل إن القبائل التي كانت تسكن في شمال الجزيرة أخذت تهون من شأن المسلمين ، وكان لا بد إزاء هذا الحال أن يبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعوثه إلى تلك القبائل لتأديبها حتى تعود للمسلمين هيبتهم .

ففي أعقاب معركة مؤتة بلغ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن جمعاً من قبيلة قضاعة ، وقد تجمعوا للإغارة على المدينة ، فدعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن العاص فقال له : « يا عمرو ، إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك . فقال عمرو : يا رسول الله، إني لم أسلم رغبة في المال ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ

نم المال الصالح للرجل الصالح » ثم عقد له النبي - صلى الله عليه وسلم - لواء أبيض، وحمل معه راية سوداء، وبعث معه ثلثمائة من خيار المهاجرين والأنصار، وأمرهم بالسير إلى مشارف الشام ليؤدبوا بني قضاعة وغيرهم من القبائل الضاربة هناك، والتي لم ير الإسلام منها إلا شراً، وأمرهم - كذلك بأن يستعينوا في طريقهم بالقبائل الموالية للمسلمين ولبي عمرو ومن معه الأمر واتجهوا في طريقهم إلى مشارف الشام، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار إلى أن وصلوا إلى ذات السلاسل[1].

وهناك علم المسلمون أن أعداءهم قد جمعوا لهم جموعاً كثيرة، فأرسل عمرو أحد جنده إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب منه مدداً، فبعث إليه أبا عبيدة على رأس مائتين من خيار الصحابة فيهم أبو بكر وعمر، وأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا عبيدة أن يلحق بمن معه بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا.

وتابع عمرو سيره بعد وصول أبي عبيدة ومن معه - إلى ديار

---

(١) ذات السلاسل : اسم موضع وراء وادي القرى بينه وبين المدينة عشرة أيام. قيل سمي بذلك لأنه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة. وقيل : سمي بذلك لأن به ماء يقال له السلسل.

أعدائه فمزق شملهم وطارد القبائل الموالية للروم حتى أجلاها عن منازلها . .

قال ابن سعد وسار عمرو بالناس حتى وطىء بلاد بَلِى ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد غدر وبلقين . ولقى فى آخر ذلك جمعا منهم فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا ، ثم قفل وبعث عوف بن مالك الأشجعى بريدا إلى رسول الله فأخبره بقولهم وسلامتهم وما كان فى غزاتهم[٢] .

وقال البلاذرى : « فلقى عمرو العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم ، وهذا يعضده قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيغنمك الله ويسلمك[١] » .

ومن الأمور التى حدثت فى تلك السرية والتى تدل على سداد تفكير عمرو وفقهه ما رواه ابن حبان أن جماعة ممن كانوا مع عمرو سألوه أن يوقدوا ناراً فمنعهم فكلموا أبا بكر فكلمه فى ذلك فقال . لا يوقد أحد ناراً وإلا قذفته فيها ثم التقى المسلمون بأعدائهم فهزموهم وأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم عمرو من ذلك ، فلما عادوا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد حـ ٢ ص ٩٥ .

(٢) شرح المواهب للزرقانى حـ٢ ص ٢٧٩ .

إلى المدينة ذكروا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأله لم فعلت ذلك يا عمرو ؟ فقال : يا رسول الله كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد النبي - صلى الله عليه وسلم - له فعله .

وأخرج أبو داود والدارقطني والحاكم بإسناد صحيح عن عمرو بن العاص أنه قال : احتلمت في ليلة باردة - خلال سرية ذات السلاسل - وخشيت على نفس أن إغتسلت أن أعتل فتيممت وصليت بالناس ، فقال بعضهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - بعد عودته إلى المدينة : يا رسول الله إن عمرا صلى بنا وهو جنب فقال الرسول : يا عمرو ، هل صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فقلت يا رسول الله تذكرت قوله - تعالى - ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم إِنَّ الله كان بكم رحيما « وقد خفت على نفسى من شدة البرد . قال عمرو : فضحك النبي ولم يقل شيئاً .

وقد حدثت هذه السرية فى شهر جمادى الآخرة من السنة الثامنة ، ومن نتائجها أنها أعادت للمسلمين هيبتهم فى شمال الجزيرة .

٧ - سرية أبى عبيدة إلى جهينة :

وفى رجب بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا عبيدة عامر

ابن الجراح على رأس ثلثمائة رجل من أصحابه إلى حي من جهينة بالقبلية[1] مما يلي ساحل البحر .

وقد زود النبي - صلى الله عليه و سلم - أبا عبيدة ومن معه عند خروجهم بجراب من تمر ، وفي الطريق فنى زادهم أو إشتد بهم الجوع حتى أكلوا الخبط[2] يبلونه بالماء ويأكلونه حتى تقرحت أشداقهم .

وكان في القوم قيس بن سعد فنحر لهم ثلاث جزر في كل يوم جزور ، وفي اليوم الرابع أراد أن يتحر فنهاه أمير السرية أبو عبيدة ، لأن قيساً كان قد أخذ تلك الجزر بدين على أبيه فخاف أبو عبيدة ألا يفي له أبوه بما إستدان فقال قيس : أترى سعدا يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديناً إستدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله ؟

قال صاحب المواهب : « وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فأكلوا منها وتزودوا ورجعوا إلى المدينة ولم يلقوا كيداً ولا حرباً - بعد أن مكثوا ينتظرون العدو خمسة عشر يوماً - فلما

(١) القبلية : إسم موضع بينه وبين المدينة خمس ليال .

(٢) الخبط : ورق شجر السلم وهو شجر عظيم له شوك .

أخبروا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك قال لهم: «هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا، فأعطوه مما بقي منه معهم فأكل منه ـ صلى الله عليه وسلم[1].

ويرى بعض المؤرخين إن هذه السرية لم تكن لتأديب جهينة فحسب، وإنما أرسلها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتلقى عيراً لقريش بعض أن نقض المشركون عهودهم باعتدائهم على قبيلة خزاعة، ولكن العير نجت قبل وصولهم.

وتعرف هذه السرية بسرية الخبط لأكلهم فيها الخبط، كما تعرف بسرية سيف البحر أي، ساحله، لأن المسلمين عسكروا هناك زهاء نصف شهر.

٨ — سرية أبي قتادة إلى نجد:

وفي شعبان من السنة الثامنة بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — أبا قتادة بن ربعي الأنصاري ومعه خمسة عشر رجلا إلى بطن من غطفان بأرض نجد، وأمره بأن يشن الغارة عليهم لإيذائهم المسلمين.

---

(١) شرح المواهب للزرقاني ـ ص ٢٨٤ .

فخرج أبو قتادة ومن معه فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى وصلوا إلى ديار أعدائهم فهاجموهم وقتلوا من برز منهم، ثم استاقوا كثيراً من إبلهم وماشيتهم فكان ما غنموه من الإبل مائتى بعير ومن الغنم ألفى شاه ثم عادوا ظافرين إلى المدينة بعد أن أدبوا الخائنين والمتمردين .

٩ — سرية أبى قتادة إلى بطن أضم :

فى مطلع رمضان من السنة ذاتها أرسل النبى — صلى الله عليه وسلم — أبا قتادة — أيضاً — فى ثمانية نفر إلى بطن إضم[١] وذلك لأنه — صلى الله عليه وسلم — عندما هم بفتح مكة بعث هذه السرية لكى يوهم المشركين بأنه لا يريد التوجه إلى مكة وإنما يريد التوجه إلى ذلك المكان ، فيأمن المشركون جانب المسلمين فلا يستعدون لملاقاتهم .

وكان فى تلك السرية رجل يدعى محلم بن جثامة الليثى ، فمر بهم عامر بن الأضبط الأشجعى فسلم على أبى قتادة ومن معه بتحية الإسلام ، فأمسك عنه القوم عند ذلك ، ولكن محلم بن جثامة

(١) بطن اضم : اسم موضع بين ذى خشب وذى المروة على بعد ثلاثة برد من المدينة .

حمل عليه وقتله وسلبه بعيره ومتاعه فلما قدمت السرية على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأخبرته الخبر غضب غضباً شديداً وأنزل الله قوله — تعالى — يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم (السلام) لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيراً (١) .

١٠ — هدم الطواغيت :

وفى رمضان من السنة الثامنة تم فتح مكة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ودانت جزيرة العرب للمسلمين ، وأخذ النبى — صلى الله عليه وسلم — فى تحطيم الأصناف التى كانت تعبد من دون الله .

ففى اليوم الخامس من فتح مكة أرسل — صلى الله عليه وسلم — خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها — وكانت العزى أكبر صنم لقريش ، وكان هيكلها ببطن نخلة — فتوجه إليها خالد فى ثلاثين رجلا من المسلمين فهدمها .

ثم بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — عمرو بن العاص ومعه بعض

(١) سورة النساء الآية ٩٤ .

الصحابة لهدم « سواع » وهو أعظم صنم لهذيل ، وهيكله على ثلاثة أميال من مكة ، فذهب إليه عمرو فلما إنتهى إليه قال له السادن : ما تريد ؟ قال . أمرنى رسول لله — صلى الله عليه وسلم — أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك . فقال له عمرو ولم ؟ فقال السادن : إنك ستمنع من هدمه . ولكن عمراً لم يلتفت إليه بل إنقض على الصنم فكسره . وأمر أصحابه أن يسووا هيكله بالأرض .

ثم بعث — صلى الله عليه وسلم — سعد بن زيد الأشهلي فى عشرين فارساً لهدم « مناة » وهى صنم لكلب وخزاعة وهيكلها بمكان يقال له المشلل[1] فلما إنتهى إليها هدمها هو وأصحابه ثم عادوا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان ذلك لست ليال بقين من رمضان من السنة الثامنة .

ثم أرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — فى شهر شوال الطفيل بن عمرو الدوسى إلى ذى الكفين . وهو صنم لعمرو الدوسى — وأمره بهدمه ، فخرج الطفيل مسرعاً إليه فهدمه وجعل يلقى بالنار على على وجهه ، ثم عاد بأربعمائة من قومه إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لكى يصحبوه فى غزوة الطائف .

---

(١) المشلل : جبل على ساحل البحر .

١١ — سرية أبي عامر إلى أوطاس :

وفى أعقاب غزوة حنين فى شوال من السنة الثامنة ، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم — أبا عامر عبيد بن سليم — الأشعرى فى جماعة من أصحابه لقتال الفارين من هوازن بعد غزوة حنين ، وكانوا قد عسكروا فى أوطاس(١) .

فانتهى اليهم أبو عامر ومن معه فإذا هم مجتمعون ، فدعاهم أبو عامر إلى الإسلام فأبوا فأخذ يقاتلهم حتى بدد شملهم وفرق جمعهم .

وفى هذه المعركة إستشهد : أبو عامر بعد أن قتل من المشركين بضعة عشر رجلا ، وتولى إمارة السرية من بعده ابن أخيه أبو موسى الأشعرى ، فقاتل هوازن حتى إنتصر عليهم وظفر بكثير من الغنائم والسبايا .

وعندما أصيب أبو عامر جاءه ابن أخيه أبو موسى الأشعرى فقال له أبو عامر يا بن أخي : أقرىء النبي — صلى الله عليه وسلم — منى السلام ، وقل له يستغفر لى ثم مات . قال أبو موسى : فلما رجعت

(١) اوطاس : واد بديار هوازن .

إلى المدينة وأخبرت النبي — صلى الله عليه وسلم — بما قال عمى أبو عامر دعا — صلى الله عليه وسلم — بماء فتوضأ ثم رفع يديه وقال : « اللهم اغفر لأبى عامر ، اللهم اجعله يوم القيامة فى الجنة فوق كثير من خلقك .

١٢ — سرية قيس إلى صداء :

وبعد أن رجع النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى المدينة ، وبعث قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى على رأس أربعمائة من أصحابه إلى قبيلة صداء باليمن ليدعوهم إلى الإسلام ، وأمره أن يقاتلهم إذا لم يستجيبوا .

وبعد أن خرج قيس ومن معه لأداء مهمتهم ، قدم زياد بن الحارث الصدائى فسأل عن ذلك البعث ، فأخبروه بأنه خارج إلى قبيلة صداء .

فقال زياد للنبي — صلى الله عليه وسلم — يارسول الله ، إنى جئتك وافدا عمن ورائى ، فرد الجيش وأنا اتكفل لك باسلام قومى وطاعتهم .

قال النبي — صلى الله عليه وسلم — لرجل من المسلمين : إذهب إلى قيس وصحبه فردهم ، فذهب الرجل وأخبرهم فمادوا

بعد أن وصلوا إلى واد خارج للمدينة يقال له قناء أما زياد فانه رجع إلى قومه ، ثم قدم إلى المدينة بعد خمسة عشر يوما على رأس وفد منهم تعداده خمسة عشر رجلا ، فنزلوا ضيوفاً على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على الإسلام ، وقالوا له : نحن لك على من وراءنا من قومنا .

فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — لزياد : أنك مطلع فى قومك يا أخا صداء فقال زياد : بل الله هو الذى هداهم يا رسول الله .

ولما رجعوا إلى قومهم فشا فيهم الإسلام ، وقدم على رسول الله مائة منهم فى حجة الوداع .

١٣ — سرية عيينة إلى بنى تميم :

ثم أرسل النبي — صلى الله عليه وسلم — بشر بن سفيان العدوى إلى بنى كعب من خزاعة لجمع صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم .

فلما علم بذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أرسل إليهم عيينه بن حصن الفزارى فى خمسين فارساً من الأعراب ليس

فيهم أحد من المهاجرين أوالأنصار، فكان عيينه ومن معه يسيرون الليل ويكمنون النهار .

ولما وصل عيينه ومن معه إلى بنى تميم حاربهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا ، وإحدى وعشرين إمرأة ، وثلاثين صبياً ، ثم توجه بالكل إلى المدينة ثم أقبل وفد من زعماء بنى تميم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان فيهم عطارد بن حاجب والزبرقان ابن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، فجلسوا ينتظرون مقدمه ، فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف : يا محمد أخرج إلينا نفاخرك فإن مدحنا زين ، وإن ذمنا شين . فخرج إليهم — صلى الله عليه وسلم — وقد تأذى من صياحهم وفيهم نزل قوله — تعالى — إنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ولو أنَّهم صبروا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خيراً لَهُمْ ، والله غَفُور رَحِيم .

وكان الوقت وقت الظهيرة ، فأذن بلال ، ودخل النبي — صلى الله عليه وسلم — للصلاة فتعلقوا به وقالوا : نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال — صلى الله عليه وسلم — « ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت » وبعد صلاة الظهر اجتمع من

حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم فلما فرغوا أمر النبي — صلى الله عليه وسلم — ثابت بن قيس ، وحسان بن ثابت فردا على القوم بكلام أبلغ من كلامهم .

فقال الأقرع بن حابس لبنى تميم : وأبى أن هذا الرجل لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا .

ثم أسلم القوم ، فرد النبي — صلى الله عليه وسلم — عليهم أسراهم ، وأحسن جائزتهم وأقاموا فى المدينة فترة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون فى الدين وكانت هذه السرية فى ذى الحجة من السنة الثامنة ، هذا وفى هذه السنة قاد النبي — صلى الله عليه وسلم — أصحابه فى الغزوات الآتية :

غزوة الفتح الأعظم وكانت فى شهر رمضان ثم تلتها غزوتا حنين والطائف .

* * *

سرايا السنة التاسعة

١ — سرية على لهدم صنم طيء :

انتهت السنة الثامنة بارتفاع راية الإسلام فى أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية ، وأقبلت السنة التاسعة وفيها بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — مبعوثاً لإحقاق الحق وإبطال الباطل — ومن أهم هذه البعوث ما يأتى :

في شهر ربيع الثانى من هذه السنة بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — علياً فى خمسين ومائة رجل إلى الفُلْس — وهو صنم طيء — ليهدمه .

وكان مع على مائة بعير وخمسون فرسا ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض ، فوصل بمن معه إلى ديار طيء مع الفجر ، فتقدم بجنده إلى صنم طيء فهدموه ثم حرقوه وعندما تعرض له بنو طيء ليمنعوه من ذلك مال عليهم بأصحابه فهزمهم وساق نعمهم وشاءهم وأخذ بعضهم أسارى ، وكان من بين الأسرى سفانه بنت حاتم الطائى .

وبعد أن رجع على ومن معه بالأسرى والغنائم إلى المدينة ، ووقف الأسرى بين يد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نهضت من بينهم سفانه فقالت : يارسول الله ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تفك أسارى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإن أبى كان سيد قومه ، أنا سفانه ابنة حاتم الطائى الذى كان يطعم الطعام ، ويفشى السلام ، وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا .

فتأثر النبي — صلى الله عليه وسلم — لقولها وأمر بفك أسارها وقال : خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

وهنا رفعت سفانه يديها إلى السماء وقالت : يا محمد ، أصاب الله ببرك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سبباً فى ردها إليه . ثم أسلمت . فكساها — صلى الله عليه وسلم — وأعطاها نفقة وأذن لها فى القدوم على أخيها ببلاد الشام .

فلما التقى بها أخوها عدى قال لها ما ترين فى هذا الرجل ؟ قالت : أرى أن نلحق به سريعا ، فان يكن نبيا فلسابق إليه فصل وأن يكن ملكا فلن نزال فى عز اليمن وانت أنت . قال : والله هذا هو الرأى . ثم قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأسلم .

وقد ساق ابن كثير قصة إسلام عدى بن حاتم فقال ما ملخصه :

« قال عدى : فخرجت حتى قدمت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالمدينة ، فدخلت عليه وهو فى المسجده فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم فقام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه إذ لقيته امرأة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها قال : فقلت فى نفسى : والله ما هذا بملك . قال : ثم مضى بى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوه ليفاً فقذفها إلىّ فقال : اجلس على هذه . قال : قلت : « بل أنت » . فجلست وجلس رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالأرض . قال : فقلت : فى نفسى والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال : « إيه يا عدى بن حاتم ألم تك ركوسيا ؟ أى على دين هو بين النصرانية والصائبة — قال : فقلت بلى . قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع » ؟ قال : فقلت : بلى . قال : فإن ذلك لم يكن ليحل لك فى دينك » قال : فقلت : أجل والله . قال : وعلمت أنه نبى مرسل يعلم ما لم يعلمه غيره من الناس . ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله

ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف . ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه إنك ترى الملك والسلطان فى غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » قال عدى : فأسلمت . وكان يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ، فقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت . وأيم الله لتكونن الثالثة ، وهى أنه ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه[1] » .

٢ — سرية معن لهدم مسجد الضرار :

وفى رجب من السنة التاسعة تهيأ النبى — صلى الله عليه وسلم — لغزو الروم فخرج بأصحابه فى زمن عسرة من الناس ، وجدب البلاد ، وشدة الحر .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٦٥ طبعة بيروت .

قال ابن اسحاق : « ثم أقبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى نزل بذي أوان[1] ، أتاه جماعة من المنافقين فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه » . فقال : « إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله لآتيناكم فصلينا لكم فيه » .

وكان المنافقون قد بنوا هذا المسجد ليعارضوا به مسجد قباء ، وليفرقوا به كلمة المسلمين . فلما علم النبي — صلى الله عليه وسلم — بذلك دعا مالك بن الدخشم — أخا بني سالم بن عوف — ومالك بن عدى — أخا بني العجلان فقال لهما : « انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فأهدماه وحرقاه[2] » .

فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، فقال مالك لمعن : انظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل إلى أهله وأحضر ناراً كثيرة ، ثم أسرعا السير إلى مسجد الضرار فدخلاه وفيه بعض المنافقين ، فحرقاه وهدماه ، تلبية لأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مكان بالقرب من المدينة .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٨٥ .

ونزل قوله تعالى : « والذينَ اتَّخذُوا مَسْجِدًا ضِراراً وكُفراً وتفريقاً بينَ المؤمنينَ وإرصاداً لِمَن حاربَ الله ورسُولَه من قبل، وليَحلِفُنَّ إنْ أردْنا إلا الحُسنَى والله يشهدُ إنَّهم لكاذِبُون . لا تَقُمْ فيه أبدا لَمَسْجِدٌ أُسِّس على التقوى مِنْ أولِ يوْم أحق تقومَ فيه . فيهِ رجالٌ يحبونَ أن يتَطَهَّرُوا والله يحب المطهرين . أفَمَنْ أسَّسَ بنيانَه على تقوَى من اللهِ ورِضوانٍ خيرٌ ، أمْ مَنْ أسَّسَ بنيانَه على شَفَا جرُفٍ هارٍ فانهارَ بهِ فى نارِ جهنَّم والله لا يهدِى القومَ الظالمين . لا يزالُ بنيانُهم الذى بنوا رِيبَةً فِي قلوبِهم إلاَّ أنْ تَقطَعَ قلوبُهم والله عليم حكيم[1] » وبذلك قضى النبي — صلى الله عليه وسلم — على معقل من معاقل الفتنة التى كان المنافقون يدبرون مؤامراتهم فيها.

ثم بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — بعد ذلك المغيرة بن شعبه الثقفى إلى الطائف لهدم اللات — وهو صنم ثقيف — فتوجه إليه وهدمه حتى سواه بالأرض .

وفى هذه السنة حدثت غزوة تبوك وهى آخر غزوة غزاها رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة التوبة : الآيات ١٠٩ — ١١٢ .

سرايا السنة العاشرة

البعوث إلى اليمن

١ — سرية خالد إلى نجران :

وبانتهاء السنة التاسعة وإقبال السنة العاشرة التى تسمى بعام الوفود ، بعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعض أصحابه لنشر دين الله فى الأرض ، وكان من بين هذه البعوث سرية خالد بن الوليد إلى بنى عبد المدان بنجران من أرض اليمن .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أمر خالداً أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاث مرات ، قبل أن يقاتلهم . فلما قدم عليهم خالد وصحبه بعث الركبان فى كل وجه يدعون إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس ، اسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فى دين الله أفواجا . وأقام خالد ومن معه بينهم يعلمهم الإسلام والقرآن ، وكتب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك . فكتب إليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقدم ومعه وفدهم ، فقدموا ، وحين

اجتمعوا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – سألهم : بما كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ بظلم . قال : صدقتم ، وأمر عليهم زيد بن الحصين .

وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الثانى أو جمادى الأولى من السنة العاشرة .

٢ – سرية على إلى بنى مذحج :

وفى شهر رمضان من السنة نفسها أرسل النبى – صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فى جمع من الصحابة إلى بنى مذحج باليمن ، وعممه بعمامة فى يده ثم قال له : « سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم إلى قول : لا إله إلا الله فإن قالوا نعم فرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ، ولإن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس ، ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك .

فلما انتهى اليهم على بأصحابه لقى جموعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ، ورموا المسلمين بالنبال ، فصف على أصحابه وأمرهم بالقتال فانقضوا على بنى مذحج فهزموهم ، ثم لحقهم فدعاهم إلى الإسلام

فأجابوا دعوته وبايعه رؤساؤهم وقالوا له : نحن على من وراءنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ، ففعل ثم رجع على إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوافاه بمكة فى حجة الوداع .

٣ — البعوث إلى اليمن :

ثم بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدداً من أصحابه إلى أماكن مختلفة من بلاد اليمن فبعث معاذ بن جبل على الناحية العليا من جهة عدن ، وبعث أبا موسى الأشعرى على الناحية السفلى وأوصاهما ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا » .

وروى الإمام أحمد ـ بسنده ـ عن معاذ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما بعثه إلى اليمن خرج معه ومعاذ راكب ورسول الله يمشى تحت ظل راحلته ثم قال له : يا معاذ إنك عسى ألا تلقانى بعد على هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدى وقبرى فبكى معاذ لفراقه ثم قال له : إنك ستأتى قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن أطاعوا

لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب .

وقد مكث معاذ باليمن حتى توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أما أبو موسى فقدم على رسول الله في حجة الوداع .



آخر البعوث النبوية

« سرية أسامة أبنى »[1] :

بعد أن عاد النبي — صلى الله عليه وسلم — من حجة الوداع، كانت عنايته متجهة إلى ضرورة توطيد سلطان المسلمين على حدود الشام، فإن دولة الروم وأتباعها من قبائل العرب كانوا ما زالوا يناوئون الدولة الإسلامية.

ولذلك أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس فى أواخر صفر من السنة الحادية عشرة بالتهيؤ لغزو الروم. ثم دعا أسامة بن زيد فقال له: « سر إلى موضع أبيك - يابنى - فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغز صباحا على أهل ابنى، وأسرع السير لتسبق الأخبار، فإن أظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع معك ».

ثم عقد النبي — صلى الله عليه وسلم — لأسامة لواء بيده

(١) أبنى: اسم موضع قريب من مؤتة.

وأوصاه بقوله : « اغز باسم الله ، وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله » فخرج أسامة بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريده بن الحصيب الأسلمى وعسكر بجيشه بالجرف .

ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا اشترك فى هذا الجيش ، وكان من بين أفراده أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وغيرهم . وقد اعترض بعض الناس على تأمير أسامة — وهو شاب لم يتجاوز العشرين من عمره — على جيش فيه كبار المهاجرين والأنصار ، وعلم النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك - وكان فى مرض موته - فغضب غضباً شديداً ، وخرج إلى الناس ، وقد عصب رأسه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ، ولئن طعنتم فى تأميرى أسامة فقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله . وأيم الله أنه كان لخليقاً بالإمارة وأن ابنه من بعده لخليق بها ، وأنه كان لمن أحب الناس إلى ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم » .

ثم نزل - صلى الله عليه وسلم - فدخل بيته ، وأقبل المسلمون

الذين كانوا مشتركين فى جيش أسامة ليودعوا رسول الله قبل أن يمضوا إلى معسكراتهم .

ثم ثقل المرض على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعل يقول : « أنفذوا بعث أسامة » . . وجاء أسامة ليودع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل سيره بجيشه . فلما دخل عليه جعل ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة ، ثم قال له ، « أغد على بركة الله » ثم قال له : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك .

فودع أسامة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم خرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل ، وبينما هو يريد الركوب والمسلمون معه يتهيئون للسير ، إذا برجل يأتى إليه ليقول له . إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يموت » .

فأقبل أسامة ومعه عدد من الصحابة إلى بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوجدوه فى اللحظات الأخيرة من حياته ، ثم إنتقل إلى الرفيق الأعلى بعد وقت قليل .

وعاد المسلمون إلى المدينة ليشتركوا فى جهاز رسول الله

صلى الله عليه وسلم - ودفنه ، فلما فرغوا من ذلك ، وتمت البيعة لأبى بكر فى تلك الظروف العصيبة ، أشار بعض الناس على أبى بكر أن يؤجل إنفاذ جيش أسامة إلى أن ينتهى المسلمون من تأديب المرتدين ، ولكن أبا بكر - رضى الله عنه - أصر على إنفاذ بعث أسامة .. وقال كلمته المشهورة . والذى نفسى بيده لو ظننت أن السباع تختطفنى لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - ثم أمر منادياً ينادى فى الناس بأن يتهيأ للخروج مع أسامة كل من انتدب لذلك فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن أبطأ عن الخروج معه فإنه سيلحقه به ماشياً ، فلم يتخلف عن الخروج أحد . .

وكانت حجة المعارضين لانفاذ جيش أسامة تعتمد على أن المتمردين على تعاليم الإسلام قد كثر عددهم بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن الأجدر بهذا الجيش الذى يقوده أسامة أن يبقى داخل المدينة ليدفع عنها الخطر المحيط بها ولكن الصديق - رضى الله عنه - بين لهم أن الخطر فى عدم إنفاذ جيش أسامة وأن الخير كل الخير فى إنفاذه تلبية لوصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليكون إنفاذه دليلا مادياً على أن الإسلام ما زال قوياً ،

وأن حالة المسلمين الحربية بعد وفاة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - لا تقل عن حالتهم قبل وفاته .. وأنهم لم يتزعزعوا من هول ما أصابهم ، بل هم على إستعداد أن يؤدبوا كل متمرد على تعاليم الإسلام .

وخرج أبو بكر يودع الجيش وهو يمشى على قدميه ، وأسامه راكب على فرسه ، فقال أسامة . يا خليفة رسول الله ، لتركبن أو لأنزلن فقال أبو بكر . والله لا تنزل ولا أركب وما على أن أعبر قدمى فى سبيل الله ساعة .

ثم أوصى أبو بكر أسامة ومن معن بقوله . لا تخونوا ، ولا تغدروا ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيراً ، ولا تعزقوا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل » .

ثم سار الجيش فى طريقه إلى أهل إبنى ، فوصل ديارهم بعد عشرين ليلة ، فشن الغارة عليهم ، وقتل من اعترض منهم وحرق بعض دورهم وأشجارهم وأجال خيله فى ساحاتهم وعرصاتهم وقتل قاتل أبيه ، وغنم غنائم كثيرة . وبعد أن إنتصر عليهم هذا النصر المؤزر أمر الناس بالرجوع إلى المدينة وفى الطريق بعث إلى الخليفة

أبى بكر من يبشره بما أنعم الله على المسلمين من نصر : وعندما إقترب أسامة وجيشه من المدينة خرج إليهم أبو بكر والمسلمون يهنئونهم بسلامة العودة وذهب أسامة إلى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصلى ركعتين شكرا لله على ما وهبهم من فوز وظفر ثم إنصرف إلى بيته .

وهكذا نفذ أبو بكر ونفذ أسامة أمر النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـ وعاد بجيشه الظافر إلى المدينة يتقدمه اللواء الذى عقده رسول الله بيده قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى . . وكان شعار المسلمين فى هذه المعركة « يامنصور أمت أمت » وكانت الفترة التى غاب عنها أسامة ومن معه عن المدينة تبلغ أربعين يوماً .

أما بعد : فهذه هى أهم السرايا والبعوث التى تمت فى العهد النبوى ومنها ترى أن أبطال هذه السرايا لم يخرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، وإنما خرجوا لينشروا فيهم نور الله بعد أن خيم عليهم الظلام وشردهم الظلال وأصنام الـكلال ، وليضعوا أيديهم فى أيدى الذين إستجابوا للحق وليقولوا لهم : تعالوا إلينا فقد : « قدجاءكُم من اللهِ نورٌ وكتَابٌ مُبين ، يَهْدِى به اللهُ من اتَّبعَ رِضْوانه

سُبُلَ السَّلام ، ويخرِجُهُم من الظُلُماتِ إلى النُّورِ باذنه ويهديهم إلىَ صِراطٍ مستقيم[1] .

خرجوا يسيرون من بلادهم إلى المشارق والمغارب ، متحملين بصبر وإيمان متاعب الأسفار ، ومرارة الجوع والعطش ، ليكونوا دعاة توحيد وأخوة ورسل شريعة عادلة وخلق كريم ورواد حضارة نقية من الفحش والشر ، لأنها تقوم على تعاليم الإسلام السامية ، وآدابه العالية وأخوته التي لا تميز بين الأقوام والألوان والأوطان ، بل تعتبر الناس جميعاً أسرة واحدة .

قال الله تعالى : يأيُّها الناسُ إنّا خَلقْناكم من ذَكَرٍ وأُنْثَى وجعلنَاكُم شعوباً وقبائلَ لِتَعَارفُوا إنَّ أكرَمكُم عند الله اتقاكُم ، إنَّ اللهَ عليمٌ خبير[2] .

وقال تعالى : « إنَّ هَذهِ أُمتُكم أُمةً واحدةً وأنا رَبُّكُمْ فاعبدُون[3] » .

خرجوا ليحاربوا قوماً نكثوا أيمانهم ، ونقضوا عهودهم ،

---

(١) سورة المائدة الآية ١٥ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

وأظهروا العداوة والبغضاء لدعوة الحق ، ولم يتركوها تأخذ مكانها تحت الشمس بحرية وانطلاق ، وإنما صدوا الناس عن سبيلها ، وآذوا أتباعها بأيديهم وألسنتهم واستمروا فى إيذائهم لهم حتى عيل الصبر ، وطفح الكيل ، وهنا شرع الله لجنده القتال فى سبيله من أجل نصرة دينه ، ومن أجل نجدة المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، وأخذ القرآن يحرض أتباعه على غشيان معامع القتال فى سبيل الحق بأقوى ألوان التحريض وأسماها وأحكمها .

استمع إلى قول الله تعالى : « ومالَكُمْ لا تقاتِلُون فى سبيل الله والمستَضْعَفِينَ من الرِّجالِ والنِّساء والوِلْدَانَ الذين يقولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجنا مِنْ هَذهِ القَرْيَةِ الظالِمِ أهلُها ، واجْعَلْ لنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّا واجْعَلْ لنا مِنْ لَدُنْكَ نصيراً . الذينَ آمنُوا يُقاتِلُون فى سَبِيلِ الله ، والذينَ كفرُوا يقاتِلُون فى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فقاتِلُوا أولياء الشَّيْطَانِ إنَّ كَيدَ الشَّيطانِ كانَ ضعيفا[1] » .

واستمع إلى قوله تعالى : « أُذِنَ لِلذينَ يقاتَلُون بأَنَّهم ظُلِمُوا وَأنَّ الله على نصْرِهِمْ لقدير . الذينَ أُخْرِجُوا من ديارهم بغير حَقٍّ إلاَّ أَنْ يقولُوا رَبُّنا الله ، ولولا دفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ

(١) سورة النساء الآيتان ٧٥ ، ٧٦ .

لهُدِّمَتْ صوامعُ وَبِيَعٌ وصلوَاتٌ وَمساجدُ يذكرُ فيها اسمُ اللهِ كَثِيراً ، وَليَنصُرَنّ اللهُ من ينصُره إنّ اللهَ لقَوِىٌّ عَزِيز »[1].

ولقد كان المؤمنون بعد هذا التوجيه القرآنى الكريم ، متى ظهر لهم الروح العدائى من بعض الناس وأيقنوا بخطره عليهم فانهم يسارعون إلى إخماده والقضاء عليه قبل أن يستفحل خطره ، ويعمه شره .

وما كانوا لينتظروا حتى يهاجم العدو فى بلادهم ، وإنما كانوا يذهبون إليه لأنه ما حورب قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا .

ومع ذلك فقد كانوا متى وصلوا إليه خيروه بين الإسلام أو الجزية أو القتل أملا فى أن يفىء إلى رشده ، ويراجع نفسه فينتزع منها روح العداء والمخاصمة .

وبهذا لنرى أن قتال المسلمين لأعدائهم لم يكن بقصد الإكراه على الدين ولا بقصد التسخير والإذلال ولا بقصد الطمع فى المال وسعة الملك والسلطان ولا بقصد التشفى والشماتة .

وإنما كان القصد منه إعلاء كلمة الله والدفاع عن النفس والعرض والذود عن المستضعف والمظلوم .

(١) سورة الحج الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

قال تعالى : « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ولا تَعتَدُوا إن الله لا يُحِبُّ المُعْتَدِين »[1] .

وقال تعالى : « فَإِنْ اعتَزَلُوكم فلَم يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فما جَعَل الله لكُمْ عَلَيهِمْ سَبِيلاً » . «فإِنْ لَمْ يَعتَزِلُوكُمْ وَيُلقُوا إليكم السَّلَمَ ويكفُّوا أيديَهم فخُذُوهم واقتلُوهم حيثُ ثَقِفتُمُوهُمْ وَأُولئِكُمْ جَعَلنَا لكم عليهم سلطاناً مبينا »[2] .

ولقد استطاع المسلمون فى فترة وجيزة من عمر التاريخ أن ينشروا سلطانهم فى المشارق والمغارب ، وأن يجعلوا كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وأن يرفعوا راية الإسلام فوق كثير من الأماكن التى باض فيها الشرك وفرخ .

وما ذلك إلا بفضل الإيمان الذى خالطت بشاشته قلوبهم والعمل الصالح الذى حرصوا عليه ولم يحيدوا عنه .

الإيمان الذى صحبهم مشرقين ومغربين ، وهازمين ومهزومين ، ولم يفارقهم لحظة من لحظات حياتهم .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٠

(٢) سورة النساء الآيتان ٩٠ ، ٩١ .

الإيمان الذى ملأ قلوبهم ثقة بوعد الله فى فتح الأرض والسيطرة عليها بالحق والصلاح والعدل : « ولقد كتبنا فى الزَّبُور مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أنَّ الأرضَ يرثُها عباديَ الصالحون »[1] .

الإيمان الذى يسر لهم كل عسير وذلل لهم كل صعب ، وجمع كلمتهم وقلوبهم على الجهاد فى سبيل الله والصبر على ما يلقون من متاعب وأهوال .

الإيمان الذى جعلهم يبتغون أشرف الوسائل للوصول إلى غايتهم ويضعون أحكم الخطط التى تؤدى لهم إلى الظفر ويباشرون أفضل الأسباب التى تبلغهم آمالهم بدون غرور أو تكاسل ، أو استهانة بشأن عدوهم أو المسئوليات الملقاة على عاتقهم .

إن أمتنا فى ظروفها الحاضرة بل فى كل لحظة من لحظات حياتها أحوج ما تكون إلى مثل هذا الإيمان الذى يجعل المسلم قائماً لرسالته فى هذه الحياة ، ومؤدياً لها على خير وجه ، نحو خالقه ، ونحو نفسه ، ونحو المجتمع الذى هو لبنة من لبناته .

وعندما يتحقق هذا الإيمان فى نفوس مسلمى اليوم — كما تحقق

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥

فى نفوس مسلمى أمس — فلابد أن تعز كلمتهم وترفع رايتهم وتسود دولتهم وتلك سنة الله التى لا تتخلف ولا تتبدل .

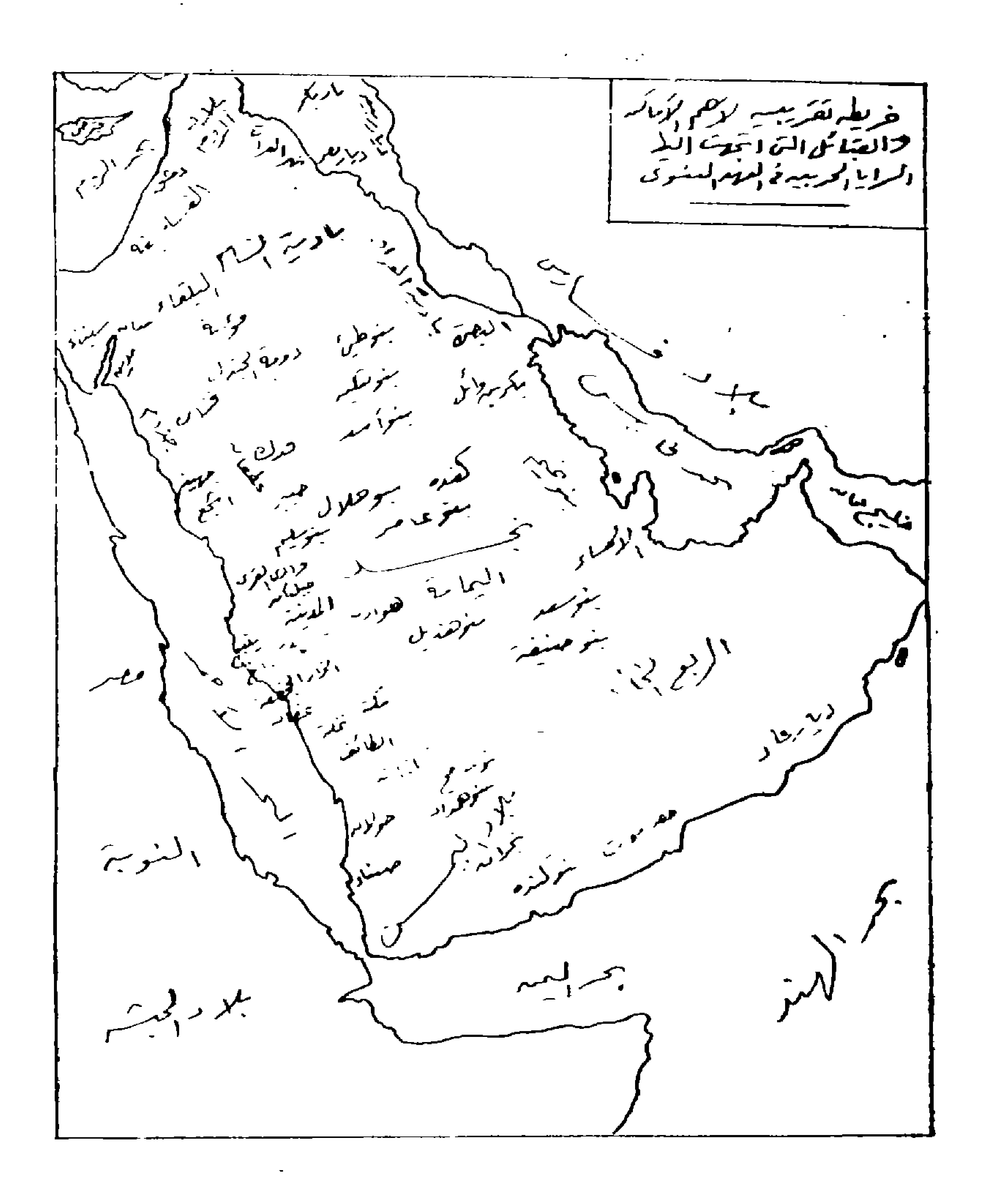
قال تعالى :

« وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ »[1] .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

(١) سورة النور الآية ٥٥ .



خريطة تقريبية لأهم الأماكن
والقبائل التي اتجهت إليها
السرايا الحربية في العهد النبوي
بادية الشام
البلقاء
مؤتة
دومة الجندل
بنو طيء
بنو كلب
بنو أسد
بكر بن وائل
البصرة
كندة
بنو هلال
بنو عامر
نجد
بنو سليم
اليمامة
هوازن
المدينة
بنو هذيل
بنو سعد
بنو حنيفة
الأحساء
الربع الخالي
الطائف
حضرموت
صنعاء
مصر
النوبة
بلاد الحبشة
بحر الروم

كلمة الإشراف

عزيزى القارىء ...

هذا هو كتاب السرايا الحربية فى العهد النبوى بين يديك.. نقدمه اليك .. فى هذا الثوب المتواضع آملين أن نحوز ثقتك .. وينال اعجابك ورضاك .. بعد أن لم نأل جهدا فى بذل كل طاقة وعرق ليخرج اليك فى هذه الصورة الطيبة التى ترجوها .

وكتاب السرايا الحربية هو الطبق الشهى الثالث الذى نقدمه اليك احتفاء بشهر رمضان المبارك بعد أن قدمنا لك (قضايا العصر فى ضوء الاسلام) و (هكذا نصوم) بالاضافة الى مطبوعات المجمع التى تخرج عن لجانه الفنية ك (الانسان فى القرآن الكريم) وكذا (جمع الجوامع) فى جزئه الخامس و (الوسيط فى التفسير) اللذان سيظهران عما قريب .

وظهور كتابنا هذا فى هذا الوقت بالذات له دلالة خاصـــة وتذكير للقارىء بأن أعظم الانتصارات الحربية فى الاسلام انما حدثت فى شهو الصوم الكريم ، وبخاصة غزوة بدر الكبرى التى غيرت مجرى التاريخ بالنسبة للدعوة الاسلامية وقد كانت فى ١٧ من رمضان من السنة الثانية الهجرية .

مرة أخرى ياعزيزى القارىء لك من أسرة الاشراف الفنى تهنئة طيبة بشهر الصوم الكريم ، وأمنيات قوية بصوم مقبول تقضيه معنا فى متعة الاطلاع على هذا الكتاب الشيق الذى نال به صاحبه درجة الدكتوراه بامتياز من الأزهر الشريف .

والى الأمام دائما على خطا البحث التقدم فى ظل دولة العلم والايمان .

طلعت غنام

تعريف بالمؤلف

فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى

حصل على الشهادة العالمية من كلية أصول الدين سنة ١٩٥٨ ثم الدكتوراه فى التفسير والحديث بتقدير ممتاز سنة ١٩٦٦ .

له المؤلفات الآتية :

١ ـ بنو اسرائيل فى القرآن والسنة .

٢ ـ تفسير سورة الأنعام .

٣ ـ تفسير سورة الأعراف .

٤ ـ الدعاء .

٥ ـ تفسير سورتى الفاتحة والبقرة .

٦ ـ له بحوث متنوعة نشرت ببعض المجلات الاسلامية .

يعمل الآن مدرسا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع اسيوط .

الفهرس

الشركة المصرية للطباعة والنشر

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/٥٧٥٦

الكتاب القادم :

محمد صلوات الله عليه

من نبعته إلى بعثته

بقلم فضيلة الشيخ

محمد الصادق عرجون

الشركة المصرية للطباعة والنشر



٨ قروش